المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

رحلة الشعر الكانمي ... ريادة وتطور

دراسة تحليلية نقدية

Women working in the poetry of Bani Hilal, an artistic analytical study by the poet: Hamid bin Thor Al -Hilali

بقلم الدكتور

محمد أحمد محمد

دكتوراه فلسفة في النقد الأدبي

ورئيس قسم اللغة الغربية بجامعة آدم بركة سابقا

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار سبتمبر ٢٠٢٥م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

رحلة الشعر الكانمي.. ريادة وتطور دراسة تحليلية نقدية

محمد أحمد محمد

دكتوراه فلسفة في النقد الأدبي ورئيس قسم اللغة الغربية بجامعة آدم بركة سابقا

البريد الإلكتروني sdfgdsfhdfhdf@glail.com

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الحقبة التاريخية العظيمة التي مرت بها إمبراطورية كانم، والوقوف على حالة التطور والازدهار الذي تحقق لها، ثم ما طرأ عليها – بعد ذلك – من أحوال ضيعت الكم الهائل من التراث العلمي والأدبي، وكشف العوامل التي كان سببا في طمر ذلك التراث، الذي يحمل مضامين، تبرز الدور الذي قامت به الإمبراطورية كنظام، والعلماء والشعراء كأفراد، ومن بعد ذلك سلطت الدراسة الضوء على ما تبقى من نتاج شعري، يمكن أن يستخلص منه القارئ الحالة الأدبية التي وصلت إليها هذه المنطقة من إفريقيا جنوب الصحراء، باستخدام المنهج التاريخي والوصفي، لأنهما يساعدان الباحث في تناول الدراسات التاريخية، وتحليل النصوص الأدبية. وقد استطاعت الدراسة – حسب رأي الباحث – أن تكشف كثيرا من الجوانب، التي لم يسلط عليها الضوء من قبل، رغم أن الباحثين اجتهدوا، وأخرجوا دراسات، ساعدت الباحث كثيرا، إلا أن جلها توقف عند حدود البحث التاريخي، والتأصيلي للأدب العربي في تشاد، لكن هذه الدراسة قدمت دراسة متأنية، ودقيقة حللت القصائد الشعرية –رغم قلتها – وخرجت بصورة، من الممكن أن تكشف للقارئ القيم الفنية والجمالية التي تميز بها هذا الأدب، ثم تعين الباحثين الآخرين، على البداية من حيث توقفت هي، كل ذلك وغيره يمكن أن يجدوه في خاتمة البحث والتوصيات التي خرجت بها.

الكلمات المفتاحية: شعر، كانم، ضياع، نقد، أدب.

The Journey of Kanmi Poetry. Pioneering and Development of a Critical Analytical Study

Mohamed Ahmed Mohammed
Ph.D. in Philosophy in Literary Criticism and Former Head of the Department of Western Language at Adam Baraka University.
Email: sdfgdsfhdfhdf@glail.com

Abstract:

This study aims to shed light on the great historical era experienced by the Kanem Empire, highlighting the conditions it underwent - from a period of scientific and intellectual prosperity to the decline that led to the loss of a vast amount of literary and scholarly heritage. It also explores the factors that contributed to the erasure of this legacy, which carried meanings that emphasized the role of the empire as a system, and of scholars and poets as individuals.

The study then focuses on what remains of the poetic output, from which readers can deduce the literary state reached by this region of Sub-Saharan Africa, using both the historical and descriptive (analytical) methods. These approaches help the researcher address historical studies and analyze literary texts.

According to the researcher, the study has succeeded in uncovering many aspects that had not previously received attention. While earlier scholars produced valuable research that was of great help, most of their work remained within the bounds of historical and foundational studies of Arabic literature in Chad. However, this study offers a more careful and precise analysis of poetic texts - though few in number - and presents a picture that may reveal to the reader the artistic and aesthetic values of this literature. It may also serve as a foundation for future researchers to build upon where this study concluded.

All this and more is found in the conclusion and recommendations presented at the end of the study.

Keywords: Poetry – kanem – loss – Criticism – Literature.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدمة

الحمد لله الفتاح العليم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الرؤوف الرحيم، وعلى آله وصحبه أهل الهدى والتسليم، وبعد ...

إن الأدب العربي: نتاج بشري، يصطحب حركة الأمة العربية، التي فرضت عليها ظروف الحياة المتقلبة، منذ قديم الزمان أن تنتقل من مكان إلى آخر، وتستقر حسب ما يطيب لها المقام، حيث خرجوا من جزيرتهم، أثناء الفتوحات الإسلامية وغيرها، منهم من اتجه شرقاً حتى وصل الهند، ومنهم من اتجه غرباً حتى الأندلس، وبعضهم تغلغل في الأقطار، فوصل إلى جنوب الصحراء الكبرى، حتى منطقة بحيرة تشاد.(١)

ومن شيم العرب أنّهم أينما رحلوا، نقلوا معهم لغتهم وأدبهم، وعملوا على تعريب البيئة الجديدة التي سكنوها، ونشروا فيها دينهم وأدبهم ومعارفهم.(٢) وأن كثيرا من شعوب هذه المناطق يروون أن أصل ملوكهم أتوا من الشمال أو الشرق،(٣) وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ حتمية ظهور الشعر العربي في البيئة التشاديّة أمر تقتضيه التطوّرات الطبيعيّة، لدخول العرب المبكر إليها، وهو ما يعطي مصداقية كبيرة للرأي القائل: منطقة حوض بحيرة تشاد من أقدم المناطق التي عرفت الشعر العربي في إفريقيا جنوب الصحراء.(٤) وهذا ما أكده القلقشندي حينما قال:" وأن من أهل البلاد من أخذ قسطا من التعليم، ونظر من الأدب نظرة النجوم فقال إني سقيم، قلا يزال يداوي عليل فهمه، ويداوي جامع علمه، حتى تشرق عليه أشعتها، ويطرز بديباجة أمتعتها.(٥)

وقد اعتنى المجتمع باللغة العربية، واتخذها وسيلة للتخاطب، والتواصل، والتراسل، والتفنن، والإبداع، والتعبير عن خلجات أنفسهم، وشمر العلماء عن سواعدهم، وأخذوا على عاتقهم تعليم اللغة، وتدريس أدبها القديم، من خلال كتبه التي وصلت إليهم؛ لأن الأدب كان ولا يزال ضمن العلوم الإسلامية التي تدارسها

العرب منذ فجر الإسلام الأولى، حتى برعوا في تلك الفنون، وأخذت تلامس وجدانهم، وجربوا يحاكون شعرها، نظما وتأليفا.[٦]

وعليه فإن هذه الورقة تأتي استجابة للبحث المعمق، والمركز على حالة الشعر في إمبراطورية كانم – برنو القديمة، لأن البحوث التي أجريت حول شعرها ارتكزت على تناول الموضوع كظاهرة عامة، وسرد تاريخي، وعرض لنصوصه مع بعض الوقفات النقدية، ولم تتعمق في دراسة النصوص دراسة نقدية، وبيان قيمتها الفنية.

ومن البحوث التي سبقت هذه الدراسة:

- أولية الشعر التشادي، د. عبدالله حمدنا الله[٧]، مقال نشر بمجلة دراسات إفريقية، تناول فيه الشاعر إبراهيم الكانمي كأول شاعر عرفته الأرض التشادية.

- المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين التاريخ والأدب، د. أديبايو سراج الدين، مقال نشر على الانترنت في موقع قراءات افريقية،

- ومن أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، بحث للدكتور محمد بن شريفة[٨]، نشر في مجلة معهد الدراسات الإفريقية، بالمغرب، الرباط، عام ١٩٩٩م.

- تاريخ الشعر التشادي، كتاب للدكتور حسن محمود[٩]، تناول فيه مراحل وتطور الشعر العربي في تشاد، طبعته دار طيبة للطباعة، أسيوط – مصر، عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤.

- تطور الشعر الوطني في تشاد، للباحث أحمد الرفاعي محمود[١٠]، وهو رسالة دكتوراه، نوقشت في جامعة أم درمان الإسلامية بالخرطوم – السودان، عام ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

وتناولت جميع هذه البحوث الشعر الكانمي ضمن الشعر التشادي عامة، وهي في أغلبها دراسات أدبية تاريخية تأصيلية، لم تسبر غور النقد الأدبي المعمق، لتقدم

لنا نقدا فنيا لما يتميز به الشعر الكانمي. ومن ثم جاءت هذه الدراسة لتبدأ من حيث انتهت تلك البحوث، ولتكمل – حسب رؤية الباحث – جزء جديرا بالدراسة.

اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه صالح لدراسة النصوص الأدبية كمادة أدبية، يقوم بتفسيرها وتحليها، واستخلاص القيم النمطية، والنتائج الفنية. وقد استعان الباحث بالمنهج التاريخي؛ لدراسة بعض الجوانب التاريخية الواردة في هذه الورقة.

وفي الحقيقة مهما حاول الباحث أن يصل إلى شعراء غير المعروفين، لكنه لم يتمكن إلا الوصول لشاعر واحد فقط، أورد أحد الباحثين نتفات من قصيدة، رثا فيها السلطان محمد الأمين الكانمي بعد وفاته.

يعمل هذا البحث على إعطاء فكرة عامة عن الأرضية التي قامت فيها إمبراطورية كانم الإسلامية، والشعوب التي تجمعت لبنائها، واللغة العربية وحال انتشارها؛ تمهيدا لدراسة فن الشعر ورجاله، الذين أبدعوا فيه، رغم أنه أقل من القليل، الذي يمكن أن نعتمده كفن تحدثوا فيه عن قضاياهم، وعبروا به عن عواطفهم وأحاسيسهم.

ولما كان البحث صغير الحجم، اكتفى الباحث بتوزيعه على مبحثين؛ تناول المبحث الأول حالة الشعر في زمن الشاعر إبراهيم الكانمي؛ بدء بتمهيد، ركز فيه على إعطاء نبذة تاريخية عن مملكة كانم، ثم تحدث فيه عن أولية الشعر العربي في مملكة كانم. وفي المطلب الأول تناول حياة الشاعر؛ بداية باسمه ونسبه، ثم نشأته وتعليمه، مرورا بانتقاله إلى المغرب العربي والأندلس.

أما المبحث الثاني فتم فيه عرض لشعره، بأغراضه المختلفة، وبه فضّل على الشعراء المعاصرين له. وحاول الباحث إبراز قيمة هذا الشعر، وما يحمله من مضامين، وأخلاق، هي بالضرورة سلوك تربى عليها الشاعر في بلده، وانطبعت في شخصيته، وعكسها شعرا في إبداعه. هذه السلوك والقيم ترجمان لأخلاق الناس وما انطبعوا عليه من قيم فطرية، لأن الشاعر سفير في الأندلس، يمثل دولته سياسة ومجتمعا.

أما المبحث الثاني، فتناول الشاعر محمد الأمين الكانمي، الذي ولد بعد إبراهيم بخمسة قرون، وهو من أصول مختلطة، كانمية وليبية، درس على الكثير من علماء منطقته، وتجول مع والده في مختلفة الدول الإسلامية، وعاد إلى موطنه بعد أن اشتد عوده، واستقام ساقه، وتثقف بفنون العلم والأدب المختلفة، بنى له قرية، قصده طلبة العلم من كل فج، وما يزال يربي ويعلم، ويعظ الناس، حتى أخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، لكن لم تطل هذه الحال، حتى دخلت دولته مع أهل سكتو[١١] في حرب، دارت رحاها أكثر من عشر سنين، انتهت باعتلائه على عرش المملكة، بعد أن تنازل له صاحب العرش، إكراما، وإقرارا بفضله، وحسن الظن بتدبيره لشئون الحكم. ومن يومها صار الحاكم الفعلي، ونقل العاصمة إلى غرب البحيرة، واستمر في حكمه حتى وافاه الأجل.

وبعد عرض هذه السيرة، استعرض الباحث في المطلب الثاني نتاجه الشعري، مفصلا الحديث عن مميزات شاعريته، مبرزا القيم والمضامين التي تكشفت من خلال عرضها النقدي، ثم الفنيات الإبداعية، والصور البيانية، والتراكيب الجملية، وما احتوى عليه عموده الشعري.

ثم انتهى البحث إلى خاتمة أجملت مفصله، وتوصيات تدفع الباحثين إلى مزيد من التقصي والتحري، كي يسعوا إلى استكمال ما تبقى في هذا الجانب.

أنجمينا في ٢٦ يوليو ٢٠٢٥

المبحث الأول

حالة الشعر في كانم في زمن الشاعر إبراهيم الكانمي:

تمهيد: خلفية تاريخية عن دولة كانم:

إن مملكة كانم أو إمبراطورية كانم – كما يحلو لبعض المؤرخين أن يسميها – تأسست كدولة قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، لكن التاريخ الثابت لظهورها كدولة ذات نظم إدارية، وعسكرية، وقضائية، يرجع إلى نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي(١٢)، منطلقة من شرق بحيرة تشاد، وامتدت لتصل بحدودها إلى الشمال، حتى وصلت زويلا في بلاد فزان، أما في الشرق فامتدت لتصل بلاد النوبة، أما من الناحية الغربية فوصلت إلى حوض نهر النيجر، ومن الجنوب غطت أراضي شاسعة حتى حدود نيام نيام داخل إفريقيا الوسطى اليوم، إذن استطاعت أن تغطي أجزاء شاسعة من إفريقيا، ضمت الكمرون وليبيا ونيجيريا وإفريقيا الوسطى وتشاد الحالية، وهي تقع بين خطي طول ١٠ إلى ٢٠ درجة شرق خط قرينتش، وخطي عرض ٨ إلى٢٠ درجة شمال خط الإستواء.(١٣)

إن وفرة المياه العذبة، وخصوبة الأرض الشاسعة، ووقوعها في قلب القارة الإفريقية، وتمركزها على طرق القوافل العابرة للقارة من جنوبها إلى شمالها، ومن غربها إلى شرقها، ثم كونها معبرا للحجيج الذاهبين والآيبين من غرب إفريقيا، هذه الميزات جعلتها مقصدا للكثير من الشعوب، الباحثة عن مكان صالح للعيش، إضافة لأنها بعيدة عن مناطق الاحتكاك في الجزيرة العربية مثلا، فقد لجأت إليها كثير من القبائل العربية أيام حروب الردة، وسقوط الدولة الأموية، عندما نكّل بهم العباسيون، وطاردوهم حتى أدخلوهم الأندلس، وكثير منهم دخل كانم، واتخذها موطنا(١٤)، وفضلا عن هؤلاء دخلت قبائل كثيرة من جهينة الجنوبية؛ جذام والراشد، والحيماد، والرزيقات، التي احترفت الرعي، باحثة عن الجو الملائم لتربية بهائمها، وبعضها تنقلت في المناطق المجاورة، حتى تجاوزت نهر شاري، وبحيرة تشاد، وسكنت شرق إقليم برنو، منها: سرار، ووائل، وبني بدر، وولاد فضالة، والجوامعة،

والشعيبات، وهم من الحيماد، وخزام، وبني محارب، والأصالع، وقليل جدا من التعايشة، وخضير، والسرجية، والنولة، والجليقات، وولاد عميرة، وقليل من السلامات، وراشد، والهبانية، والدقنة، وبلوة، وبني هلال، والعثلة، وسالم، وغيرها من القبائل العربية. (١٥)

بعد أن استقرت هذه القبائل ونعمت بالأمان، صارت تختلط بالشعوب الأخرى، سواء كانت زنجية أو بربرية، أو حبشية، أو نوبية. تزاوجت وتصاهرت حتى نتج عنها مجتمع خاطف لونين، تجمعت فيه صفات العرب؛ من كرم، وشجاعة، ونبل، وإباء، ومروءة، ومن الزنجية سمرتها المائلة للبياض، هذا المجتمع عربي إسلامي الدين، والتطلع والمصير، إفريقي التربة والوجود، فالعرب وأشباه العرب اليوم أصبحوا يشكلون الأغلبية لسكان تشاد(١٦) ، إلى جانب ذلك أن اللغة العربية اتخذها المجتمع لغة دين وتواصل وإبداع. (١٧)

إن دولة كانم أول إمبراطورية بسطت سلطانها في الصحراء الكبرى وجنوبها، ولما زارها الرحالة محمد عمر التونسي(١٨)في أواخر أيامها، قال:"كانت أوسع دارا وأكثر رجالا وأقوى عدة".(١٩) عملت على نشر الإسلام، وثقافته في الفترة الممتدة ما بين ٨٠٠م و١٦٠٠م، عاشت وازدهرت، خلفت تراثا عظيما في شتى المجالات والفنون. ثم على الرغم من ضياع معظم المصنفات؛ جراء الحروب، والصراعات، والكوارث الطبيعية، إلا أن ما نجا منها يفوق ما خلفته الدول الإسلامية الإفريقية الأخرى، مثل غانا، ومالي، وسنقي.(٢٠)

تراجعت دولة كانم وتفككت بعد أن استمرت أكثر من تسعة قرون.(٢١) وكانت مشهورة بدور ريادي، اضطلعت به في نشر العلم والمعرفة جنوب الصحراء الكبرى، كتب علماؤها في شتى المجالات، أبدعوا في فنون الأدب المختلفة شعرا ونثرا، بيد أن جله ضاع بسبب الصراع الذي دار بينهم وبين دولة سكتو في القرن التاسع عشر الميلادي، وما بقي منه إما أتلفه الفرنسيون، أو نقلوه إلى بلادهم حينما احتلوا تشاد في العقد الأخير من القرن العشرين.(٢٢) كذلك أخذت

فرنسا على عاتقها، بعد أن بسطت سلطانها على المنطقة أن تطمس الهوية العربية الإسلامية، وتجتثها من جذورها، لتبني على أنقاضها هويتها وثقافتها الأوروبية المسيحية. وقامت البعثات التبشيرية بنشاط واسع، شيدت العديد من الكنائس. كما قامت الإدارة الاستعمارية باستصدار القوانين والمراسيم التي تمنع التخاطب باللغة العربية، وتفرض اللغة الفرنسية محلها. ولم نجد قرارا خاصا بمنع تداول العربية في تشاد، لكن إصداره من قبل حاكم غرب إفريقيا في السنقال عام ١٩١٠م،[٢٣] أعطى الحق لحاكم تشاد أيضا بتطبيقه في الدوائر الحكومية، وإحلال الفرنسية مكانها، لأن ديقول كان يوصي جنوده الذاهبين لاحتلال إفريقيا: خذوا البندقية بإحدى يديكم، والثقافة الفرنسية بيدكم الأخرى.

المطلب الأول: حياة الشاعر إبراهيم الكانمي

دائما يقف أهل البحث العلمي عاجزين عن معرفة بداية الإبداعات البشرية، ومرد ذلك أن الإنسان نفسه كان متخلفا؛ لم يفقه لكثير من المسائل المهمة؛ من بينها أن يأتي يوم والناس يحتاجون إلى معرفة بداية حياته، وكيف استطاع أن يشق طريقه، ليتكيف مع نفسه، ومع محيطه، من إنسان أو طبيعة أو حيوان، أو غير ذلك، وكيف بدأ يبحث عن تلبية رغباته، وإشباع غرائزه، فسبب الجهل أو عدم الاكتراث، أو عدم التدوين، دفنت على تفاصيل كثيرة من الحياة، وأصبحت فيما بعد لغزا، لم تتمكن الأجيال اللاحقة من فك شفرتها إلى يومنا هذا. من بين تلك المسائل أولية الشعر العربي عامة، فقد وصل إلينا تام البنية، مستوفيا الشروط، ما استطاع النقاد إلا أن يبحثوا عن معرفة الخصائص التي تميز بها.

ولما كان الأمر كذلك فإن بدايات الشعر العربي في دولة كانم أيضا مجهولة، لكن جذورها التاريخيّة ضاربة في القدم. وأقدم نص شعري، عثر عليه – حتّى الآن – يرجع تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الميلادي، والذي يوافق القرن السابع الهجري، حيث ظهر الشاعر إبراهيم الكانمي الملقب بـ(الشاعر الأسود)، وقد أوردت المصادر العربيّة القديمة شيئا من

أخباره، ومقطوعات من أشعاره، عندما دخل المغرب والأندلس، واشتهر فيهما، وأصبح من أشهر شعراء تلك البلاد. وقد مكّنته هجرته أن تضمه مؤلفات المؤرّخين والأدباء والنقاد العرب، وأن يصير جزء من مجرى تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس.

ويمثل أدباء مملكة كانم شاعران فقط هما إبراهيم الكانمي، ومحمد الأمين الكانمي، احتفظت بطون المؤلفات بإبداعهما، ومؤخرا وقعت بين يدي الباحث أبيات من قصيدة شعرية، قيل إنها لشاعر كانمي اسمه يوسف القرقري، رثا فيها الشيخ محمد الأمين الكانمي، لكن الباحث لم يقف على شخصيته، ولا عن نتاجه، سوى الأبيات القليلة.

من هو الشاعر إبراهيم الكانمي:

هو: أبو إسحاق إبراهيم الكانمي النحوي الشاعر، وقيل هو: إبراهيم بن محمد بن فارس بن شلكة بن عمرو بن عبدالله، السلمي الذكواني، غربيب اللون، ولد قبيل سنة ٥٥٠هـ، في قرية بلمة التابعة لإمبراطورية كانم، درس وتعلم بمنطقته، ولم يسجل المؤرخون أن تلقى خارج دياره، المعتبرة من أقدم بلاد السودان إقبالا على التعليم. دخل المغرب قبل سنة ٦٠٠ه، واستمرت سكنته بين المغرب والأندلس، حتى توفي سنة ثمان أو تسع وستمئة بمراكش.[٢٤] وقيل بإشبيلية سنة ١٢١٢ أو ١٢١٣م.[٢٥]

- **تعليمه:**

مثلما أن معظم حياة الشاعر إبراهيم مجهولة لدينا، فإن تعليمه كذلك مجهول، لكن من خلال سيرته المقتضبة في بطون المؤلفات القديمة يتضح لنا أنه أخذ مبادئ العلم في قريته (بلمة)،[٢٦] التي قضى فيها طفولته، وربما حفظ القرآن الكريم فيها، ثم خرج إلى (غانة)، وفيها أكمل بقية تعليمه، رغم أنها بلد كفر وجهل في تلك الأيام.[٢٧] ومن الممكن أنه تجول عبر مدن كانم المختلفة؛ لأنها بسطت سلطانها على أغلب التراب الإفريقي حينها، ثم خرج إلى غيرها من ديار العلم المشهورة في

ذلك الزمن الغابر؛ لأن البقاء فيها لا يكسبه الشهرة التي ترتقي به، وينال الاعتراف اللازم من العامة والخاصة، حتى يرسله السلطان سفيرا له بالمغرب والأندلس. حفظ كتاب الجمل للزجاج[٢٨]، وقرأ مقامات الحريري[٢٩]، مما يدل على حفظه لشعر غزير من الأدب العباسي وغيره، لأن المقامات لا يصلها إلا طالب تجاوز الشعر الجاهلي والعباسي، كما نستنبط ذلك من خلال النصوص الشعرية التي قالها، وفيها آثار المتنبي وما سواه من شعراء تلك الفترة بينة في نتاجه، تستبين لنا حينما نوردها في الصفحات القادمة إن شاء الله.

كذلك قالت عنه بعض المصادر إنه"نحوي وشاعر".[٣٠] وحينما مكث بمراكش "أقرأ بها الآداب"[٣١]، أي أنه أستاذ في الأدب، ولشدة تضلعه فيه، وابتكاره وتفننه في قرضه، قصده طلبة العلم والمعرفة، اعترافا له، واغترافا من معينه.

- **صفاته:**

اتصف إبراهيم الكانمي إبراهيم الكانمي شاعر ذو أخلاق اسلامية فاضلة، متمسك بدينه، ملتزم بعادات مجتمعه المسلم السمحة، (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) [٣٢]، تعرض لمضايقات شتى، أكثرها من قبل زملائه الشعراء، حسدوه لحظوته عند أمير دولة الموحدين، سميه إبراهيم، ومكانته في مجلسه، فالأذى الذي لاقاه كثير، حتى أحرج جمهوره ومحبيه من عامة الناس وخاصتهم، لكنه لم يكترث لقولهم، ولم يلتفت لنيلهم، وكان حريا به أن يواجه السب بالسب، والشتم بالشتم، لكن مكانته العلمية وورعه وتقواه تمنعه من أن ينزل إلى الحضيض من هذا النوع، وكان بعض الناس يحرضه على الرد على هجو بعض الشعراء، فيقول:[٣٣][بسيط]

كم سائل لم لا تهجو فقلت له لأنّني لا أرى من خاف من هاج

لا يكره الذم إلا كلّ ذي أنف وليس لوم لئام الخلق منهاجي

وهذه الخاصية لم ينفرد بها الكانمي وحده في الشعر العربي التشادي، بل نلحظ ذلك كثيراً عند غيره من الشعراء التشاديين القدامى والمحدثين، وبخاصة

العلماء المتفقهين في الدين، فتمسكهم بدينهم، وحرصهم على اتباع المنهاج القويم، الذي يدعو الناس على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن السباب والشتم، وهتك أعراض الآخرين. إنما يعظ الناس، وينبّههم عن عدم التغافل، فيقول[طويل]

أفي الموت شكّ يا أخي وهو برهان ففيم هجوع الخلق والموت يقظان

أتسلو سلو الطير تلقط حبّها وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان

- **أسباب ضياع الشعر الكانمي:**

إن هناك سؤالا خطيرا يطرح نفسه بإلحاح: هل يمثّل إبراهيم الكانمي أول شاعر عرفته المنطقة؟

الجواب المفترض، وبكل بساطة: (لا)، لأنّ النصوص المأثورة عنه تؤكد أنه بنى على أساس سبقه إليه آخرون. لكنّ من هم؟ وأين نتاجهم؟ ولماذا اشتهر دونهم؟

هذه التساؤلات يمكن الإجابة عليها من خلال التعامل مع النقاط التالية:

أ- ضعف حركة التدوين في تشاد: لقد أشار المؤرّخون إلى أنّ حركة التدوين كانت ضعيفة جدّا، رغم ازدهار الثقافة الإسلاميّة وقتها، بل إنّ هذه الظاهرة كانت شائعة جدّا في تاريخ بلاد السودان عموما. يتبدى من قلّة المصادر الإخبارية، وما شكّلته من عقبات كأداء، أرهقتهم كثيرا في تأصيلهم للحقائق، وهو ما دفع كثيرا منهم للاستشهاد – دون حرج – بكتابات متأخّرة جدّا ترجع للقرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين.[٣٤]

ومن هذا المنطلق، فإنّ ضعف حركة التدوين كانت سببا في ضياع كثير من الأعمال العلميّة، ومن ضمنها أعمال الشاعر إبراهيم الكانمي، قبل رحيله إلى المغرب، رغم غزارتها.[٣٥] وبمقابل ذلك لا يوجد ما يمنع أن يكون قد مارس قرض الشعر أثناء وجوده في بلاده. وقد أورد محمد بن شريفة بيتين ضمن مقطوعات الشاعر، ولكن بعد قراءة متأنية لهما يتضح أنهما ليسا من شعره، ولربما يكونان جزء من رسالة سلطان كانم، التي أرسلها معه إلى مراكش، يقول في البيتين: :[٣٦][طويل]

سمعت بأن تهدى الطرائف نحوكم فسقت وليدا شاعرا وهو أعجم

وأن الجياد الشقر أسبق خيلكم فهاك طمرا سابقا وهو أدهم

فالأدلة على أن البيتين لغير الشاعر، استخدام ضمير المتكلم (سمعت)، (فسقت)، وضمير المخاطب(نحوكم)، (هاك)، تدل هذه الضمائر على أن الشاعر مرسَل، ثم الوصف الذي أبان به حال الشاعر (وليدا شاعر)، (طمرا سابقا، أدهم)، جميع هذه المفردات تؤكد أن قائل البيتين غائب، وفيها بيان لطبيعة المراسلات المكتوبة.

وتؤكّد بعض المصادر أنّه دخل تلك البلاد وهو شاعر ناضج. وليس هذا فحسب، بل إنّ بعض الباحثين أشار إلى أنّه لو بقي في بلاده لما عرف له أثر، ولا خبر، كما هو الحال مع أعلام عصره، الذين كتب عليهم البقاء في البيئة التشاديّة، لضعف الرواية، وانعدام التدوين.(٣٧) وإذا تحقق أنّ الكانمي تلقّى تعليمه في بلده كانم، ثبت أنه لا يمثل حالة نادرة، لا من حيث ثقافته، ولا من حيث لونه، ولا من حيث عجمة لسانه، وقريحته التي نضجت في بلده، وليس في بلاد المغرب(٣٨)، فالكانمي لا يمثل أول شاعر ولد في المنطقة، ولكنه أقدم شاعر وصل إلينا خبره.

إن بداية الشعر التي يمثلها إبراهيم الكانمي عرفت منذ النصف الثاني من القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين، الذي يوافق القرن الثالث عشر الميلادي، وهذه البداية قد انقطعت، ولعل السبب الأساسي في هذا الانقطاع قد يعود إلى عدم التدوين، وعدم الاهتمام بالنتاج الأدبي تذوقاً ونقداً أو تشجيعاً.(٣٩)

وهكذا من خلال ما تقدّم يمكن تقرير حقيقة أنّ الكانمي لم يكن أوّل شاعر في بلاد كانم، بل إن هناك شعراء عاصروه، وهناك من سبقوه أيضا، لكنّ آثارهم ضاعت. لذا يقول أحد الباحثين:" وإن كنت أرى أن غياب النتاج الشعري، مرده – على ما يبدو – إلى جريرة غياب التدوين، وعدم التوثيق المحكم، بالإضافة إلى غياب الحركة النقدية في ذلك الزمن المترامي الأطراف، فلو وجد رصد وتقويم نقدي لاستطعنا أن نظفر بكم هائل من التراث الشعري التشادي".(٤٠)

ب- خلو مؤلفات المغرب من شخصيات سودانية: إنّ صفحات المؤرّخين والنقّاد المغاربة تكاد تكون خالية تماما عن الشخصيات السودانيّة الوافدة إلى المغرب، خاصّة في الفترة التي سبقت ظهور الكانمي، أو جاءت بعده بقليل؛ فقد ذُكر أنّ كتب التراجم والحوليات، لم تترجم لأي شخصية من بلاد السودان، دخلت فاس أو غيرها من مدن المغرب قبل منتصف القرن التاسع الهجري! وعلى حسب ما علم، فإنّ الكانمي هو أحد شخصيتين فقط أشارت إليهما المصادر، حيث كانتا من العناصر التي استقطبتها بلاد المغرب.(٤١) وأنّ هاتين الشخصيتين لم تدخلا المصادر في هذه الفترة إلا لشهرتهما؛ أمّا الكانمي فقد ساعده طول وقوفه أمام أبواب السادة الموحدين مادحا كبراء الدولة، مختلطا بساداتهم، مرتزقا منتفعا بعطاياهم.(٤٢) وأما الآخر فهو الحاج موسى كاتب سلطان مالي، فكان سبب شهرته إيفاده من قبل السلطان إلى فاس، لأخذ العلم من فقهائها، ثم تقلّده منصب القضاء بعد رحلته العلمية.(٤٣) ولذلك فإنّ من لم يجد هذه الشهرة حتّى ولو دخل المغرب في تلك الفترة لا يعلم به أحد.

ج- صراع أبناء الأسرة الحاكمة على السلطة: ازدهرت كانم، وبسطت سلطانها على أجزاء وسعة من إفريقيا، نشرت الإسلام واللغة العربية، نهضت علميا، وتجاريا، وصناعيا، بنت جيشا قويا، حافظت به على أمنها وسلامة أراضيها، وفرت أراضي زراعية شاسعة، اتصلت وتواصلت مع محيطها القاري، حتى صارت إمبراطورية عظيمة، استمرت تسعة قرون من ١٠٨٦ حتى ١٨٩٣م، أخضعت كثيرا من الأمم المجاورة لها، وأن موقعها الاستراتيجي ضمن لأهلها ثراء عظيما.(٤٤) بعد كل هذا التاريخ بدأ أفراد الأسرة الحاكمة يتنازعون على كرسي الخلافة، أدى ذلك إلى انهيار الدولة، وتفرزعها. وهذا كان سببا في خروج العلماء عن دولتهم، وبحثوا عن جهات أخرى تقدس العلم، وتولي أصحابه عناية خاصة، وفي نفس هذه الفترة ظهرت دولا جديدة، مثل باقرمي، ووداي، ودارفور... وغيرها من الدول.

د-تمرد بعض الزعماء على الدولة: بسبب اختلاف أبناء الأسرة الحاكمة على السلطة، وانقسام الولاة بين موال ومعارض، بل إن بعض القبائل انتهزت فرصة ضعف الدولة، وأعلنت تمردها عليها، وقد بلغ هذا الصراع مداه في القرن الخامس عشر الميلادي، حين تحركت قبيلة البلالا من معقلها بالفتري، وواصلت زحفها، حتى شنت حربا ضروسا على العاصمة (أنقيقمي)، فاضطرت الأسرة السيفية إلى الانتقال إلى غرب البحيرة، وأقاموا لهم عاصمة جديدة هي (بيرني)[٤٥]، ثم الحرب المستعرة التي خاضها رابح فضل الله ضد الإمبراطورية، أتت على كثير من القرى والمدن، وشردت كثيرا من الناس، ودمرت الكثير من المدن والقرى، هذا الدمار ألحق أذى كبيرا بالمؤلفات والمخطوطات، ودمر المكتبات، ودور العلم والمنتديات، وشرد العلماء.

ه- الكوارث الطبيعية: تعرضت إمبراطورية كانم لكوارث طبيعية عديدة؛ منها زحف الصحراء، فقد اجتاحت الكثبان الرملية أراضي شاسعة منها، وحولتها إلى صحراء جرداء، فرضت على ساكنيها الانتقال إلى أماكن أخرى آهلة بالسكان، تتوفر فيها مقومات الحياة، وبيئة صالحة للزراعة والرعي، هذا الانتقال كان سببا في اختفاء الكثير من المؤلفات والمخطوطات، نستنتج ذلك من خلال التاريخ الطويل، والحضارة العريقة، التي بناها مؤسسو المملكة الأوائل، وتقديرهم لأهل العلم والأدب.

و- نهب وتدمير الاحتلال الفرنسي للدولة: كذلك من العوامل التي ضيعت التراث الكانمي، أن الفرنسيين في بداية فترة احتلالهم لتشاد، أتلفوا كثيرا من المخطوطات العلمية، والدواوين الشعرية، والرسائل الأدبية، جزء منها أحرقوه، والجزء الأخر نقلوه إلى متاحفهم، وزينوا به مكتباتهم.[٤٦] ولا يفوتنا في هذا المجال أن نشير إلى الحرب التي وقعت بين السلطان رابح فضل الله وسلاطين كانم.

على أيّة حال، لا يمثل الكانمي أول شاعر، ولكنه أقدم شاعر– حتّى الآن – عرف عن منطقة كانم، فقد أوفده السلطان دبلامي إلى المغرب في سفارة سلطانية في حدود عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م، في عهد دولة الموحدين، ولازم سميّه إبراهيم بن يعقوب المنصوري، الخليفة الموحدي، ومدحه بقصائد عديدة.(٤٧)

المطلب الثاني شعره: عرض وتحليل

١- لغته وأسلوبه:

تعتبر الفترة التي أرسل فيها الكانمي إلى المغرب فترة ازدهار الحضارة الإسلامية في دولة كانم، قام بعض ملوكها بجهود عظيمة؛ لتدعيم عوامل النهضة في شتى المجالات؛ خاصة اتصالهم بالمراكز المهمة في كل من القيروان والقاهرة وفاس، وأعطى هؤلاء الملوك مكانة كبيرة للعلماء، أتحفوهم بالعطايا، ووقعوا لهم على مراسيم خاصة، تعزز مكانتهم، وتوفر لهم سبل العيش الكريم، وأولوا العلم عناية عظيمة؛ حضر السلاطين أنفسهم مجالسه، وأنشأوا دورا له، على غرار ما في المشرق أو المغرب العربيين.(٤٨) ولذلك لا نندهش عندما تخرّج هذه البلاد شاعرا مثل الكانمي.

ويقول بعض النقاد المعاصرين للكانمي: إنه"كان شاعرا محسنا"، وذات يوم زار شاعرنا أبا زيد الفازازي في داره، ولما غادرها، قال لجلسائه إنه أفضل شعراء هذا العصر.(٤٩) وآخر يقول: " وفي زماننا هذا شاعر بمراكش المغرب يقال له الكانمي، مشهود له بالإجادة، لم أسمع شيئا من شعره ولا عرفت اسمه".(٥٠) وذكر بعض النقاد أنه أكثر في غرض المدح وغيره، لكنه كان ينفر عن الهجاء.(٥١) ذلك عن النقاد القدامى. أما المحدثون فيقول عنه الأستاذ بدى بن أحمد سالم الشنقيطي:"مكنته هجرته وفصاحته وبلاغته من أن يجد مكانه في مؤلفات المؤرخين والأدباء العرب، ومن أن يصبح جزء من تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس منذ ذلك الزمان".(٥٢) وعندما دخل على الخليفة إبراهيم الموحدي، استقبله

بكرم فياض، قربه منه، واستخلصه لنفسه، حتى أزال الحاجب الذي يُضرب بينه وبين رعيته من عامة الناس، فقال فيه مادحا:(٥٣)[كامل]

أزال حجابه عني وعيني تراه من المهابة في حجاب
وقرّبني تفضّله ولكن بعدت مهابة عند اقترابي

بهذين البيتين كشف الشاعر النقاب عن حال تواصل السلطان مع رعيته، فهو لا يخاطبهم إلا من وراء حجاب، وهي عادة مشهورة عند سلاطين وملوك ذلك الزمان، يقول ابن بطوطة: إن بلاد كانم أهلها مسلمون، ولهم ملك اسمه إدريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب.(٥٤) وهذا يبرز لنا التواصل الفعال بين إفريقيا شمال الصحراء وجنوبها، بينما يختلف عنه تعامل سلاطين دار وداي ودار فور، ففيهما يجلس السلطان في فناء قصره، وتدخل عليه الرعية، فتجلس أمامه، لكنه لا يخاطبهم مباشرة، إنما يوجه كلامه لأحد عماله، وهو بدوره ينقله إليهم، مشيرا بقوله: سيدي الأمير يقول لكم: .... وينقل كلامه إليهم حرفيا.

إذن البيتان السابقان يحملان مفردات سهلة، لكنها من الممتنع؛ إيقاع جميل، وموسيقى داخلية وخارجية، تعطي الجمل معاني إضافية، تلامس الروح، وتزيد الصورة جمالا وإشراقا، مع المقابلة والتضاد، أزال حجابه... ما يزال في حجاب، وقربني تفضله... بعدت مهابة، عني وعيني. ببيتين استطاع أن يفي بما عجز عنه كبار الشعراء، ببيتين فضله الأمير، وأدناه منه نفسا، وأخلصه، واكتفى به عن غيره. فكانت أولى الهدايا زوجه بأجمل النساء، هي الزهراء التي أحبها، وعشقها، فكانت له نعم الزوجة، وكان لها نعم البعل، وربما استخسرها عليه نفر من الناس، لرقتها، ورشاقتها، ونضارتها، وجمال بشرتها البيضاء، أو ربّما أحس منها ذات يوم بتعال، فقال متغزّلا بها، ومنبّها إياها بأصوله العربية، وقيل إنه أنشأ هذه الأبيات ردا على الجيراوي في حوار جرى بينهما، فقال مدافعا ومفتخرا بلونه الأسود:(٥٥) [بسيط]

غيري عليكن يا زهراء يصطبر لأنّ صبري على ذاك الهوى صبر

لـــوني بلونـــك مـــزدان إذا اجتمعـــا كمـــا يـــزين ســـواد المقلـــة الحـــور
وإن شـــككت فقيســـي قـــيس تجربـــة ففـي اختبـارك مـا ينسـى بـه الخـبر
إنّـــي وإن ألبســـتني العجـــم حلتهـــا فقـــد نمـــاني إلى ذكوانهـــا مضـــر
فـــلا يســـؤك مـــن الأغمـــاد حالكهـــا إن كـــان باطنهـــا الصمصـــامة الـــذكر

هذه الأبيات وما تزخر به من معان سامية، وقيم نبيلة، تـــدل علـــى نضـــج التجربة الشعرية لدى الكانمي، كما تظهر لغة تأملية في فهم العلاقـــات الإنســـانية، والتمييز بين الجوهر والعرض، ويغلب على الأبيات الأسلوب المجازي والتصوير البياني، مما يمنحها عمقا دلاليا، يتجاوز به حدود الخطاب العاطفي المباشر. ورغم أن الموقف حرج، لكنه لم يظهر إلا سكينة وهدوء. لم يبالغ في اعتداده بنفسه، وإنما خاطبها بما تقرر عندها من ملاحظات، وما تأكد لديها من مشاهدات، وما ألفته من معاملات، يذكرها بما تعرفه عنه، مفتتحا حواره معها بالحب، وهو الرابط الأساس في كل علاقة إنسانية، خاصة بين الزوجين، لأنه الرابط المتين، الذي تتكسر أمامه جميع المواقف الأخرى، قانونه يسيطر على أي عامل يخالفه. عبّر عـــن حالهمـــا بكلمات قوية، ومفردات عذبة جزلة، لها جرس في الأذن، توقظ الإحساس، وتـــدنو من القلب: يصطبر، صبري، صبر، فهذا الجناس المطبوع يعمق المعنـــى ويزيـــده إشراقا ووضوحا. ثم بعد ذلك تحدث عن الصلة التي تجمع بينهمـــا، حيـــث ســـواد بشرته ببياض لونها كانت أروع ما يكون، وليس ذلك بغريب، لأن جمال العـــين لا ينفرد به البياض، ولا السواد، وإنما في تشكلهما وتجانسهما. أما سواد البشرة الذي يتأفف منه بعض بني البشر لا يضير صاحبنا، لأنه يحمل قلبا ناصع البياض، كناية عن أصالة معدنه، فهو منحدر من أسرة عربية عريقة، جدها ذكوان بن مضر. ثـــم انظر إلى هذا الشاعر كيف عبر عن سواد لونه، فلم يقل سوادها، إنما قال (حلتها)، والحلي هو أنفس ما تتجمل به النساء، فاستعاره شاعرنا للـــون بشـــرته، احترامـــا وتقديرا لخلقة ربنا سبحانه وتعالى. وأجمل أسلوب امتطاه شـــاعرنا للتعبيـــر عـــن علاقته بفتاته استخدامه أسلوب القصر؛ حيث قال: (غيـــري علـــيكن يـــا زهـــراء

يصطبر) أي لا يصطبر عليكن إلا غيري، حيث قصر الاصطبار في حبهن لغيره، وهو قصر موصوف على صفة، وهذا الأسلوب من أميز أنواع التعبير البلاغي. والاصطبار هو: التجلد والاحتمال، وهو أعلى مرتبة من الصبر، وأوكد للمعنى. وقد ورد في القرآن الكريم (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (٥٦)، لأن الصلاة فيها تعب ومشقة، لا يتحملها إلا المؤمن المخلص. يقول ابن كثير: واصطبر عليها، أي على الصلاة بإقامتها، بحدودها وأركانها وآدابها وخشوعها، فإن ذلك مشقة على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائما، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المطلوب، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع.(٥٧)

وأصل الكلمة (اصتبر) بالتاء على وزن "افتعل"، أبدلت تاؤها طاءً لتناسب الصاد، لأن الصاد والطاء حرفا استعلاء وإطباق وتفخيم، وأما التاء فلا تتناسب مع الصاد، لأن التاء حرف استفال وهمس وترقيق قال ابن مالك: (٥٨)

طا تا افتعال رد إثر مطبق في الدان وازدد وادكر دالاً بقي

إذن تضلع إبراهيم الكانمي في اللغة العربية، واستحكامه لمراميها مكنه في تخير المفردات، واستخدام الكلمات حسب مناسبة المقام، واختيار الكلمات القادرة على التعبير عن مراده، فاختار (يصطبر) بدلا من (الصبر)، رغم أن الكلمتين تبدوان للعامة مترادفتين، لكنها عند شاعرنا ليستا كذلك. واستخدم حرف النداء (يا) الذي هو لنداء القريب والبعيد، وهذا الحرف فيه معنى الاستغاثة، وهنا يبدو الشاعر كأنه يستغيث بمحبوبته، أن تخفف عنه لواعج الشوق، وصبابة المحبوب، وهجره، لاستحالة العيش بعيدا عنها، وإن لم تفعل فلا محالة أنه هالك.

إبراهيم الكانمي شاعر ذو أخلاق إسلامية فاضلة، متمسك بدينه، ملتزم بعادات مجتمعه المسلم السمحة، (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) (٥٩)، تعرض لمضايقات شتى، أكثرها من زملائه الشعراء، حسدوه لحظوته عند أمير دولة الموحدين، سميه إبراهيم، ومكانته في مجلسه، لاقى أذى كثيرا، حتى

أحرج جمهوره ومحبيه من عامة الناس وخاصتهم، لكنه لم يكترث لقولهم، ولم يلتفت لنيلهم، وكان حريا به أن يواجه السب بالسب، والشتم بالشتم، إلا أن مكانته العلمية وورعه وتقواه تمنعه من أن ينزل إلى الحضيض من هذا النوع، بل كان ينفر منه، حيث يقول:(٦٠)[بسيط]

كم سائل لم لا تهجو فقلت له ... لأنّني لا أرى من خاف من هاج

لا يكره الذم إلا كلّ ذي أنف ... وليس لوم لئام الخلق منهاجي

وهذه الخاصية لم ينفرد بها الكانمي وحده في الشعر العربي التشادي، بل نلحظه عند غيره من الشعراء القدامى والمحدثين، وبخاصة العلماء المتفقهين في الدين، فتمسكهم بدينهم وحرصهم على اتباع المنهاج القويم، حيث يدعو المسلم على التخلق بالأخلاق الفاضلة، والابتعاد عن السباب والشتم، وهتك أعراض الآخرين. فشاعرنا يعظ الناس، وينبّههم عن عدم التغافل، مستخدما أسلوب الاستفهام التقريري، ليزيد المعنى قوة ووضوحا، فيقول:[طويل]

أفي الموت شكّ يا أخي وهو برهان ... ففيم هجوع الخلق والموت يقظان

أتسلو سلو الطير تلقط حبّها ... وفي الأرض أشراك وفي الجو عقبان

وما أن نقرأ هذين البيتين حتى تتوارد إلى أذهاننا قصيدة ألبستي(٦١) التي يقول في مطلعها:

زيادةُ المرءِ في دُنياه نُقصانُ ... ورِبْحُه غيرَ مَحْضِ الخير خُسْرانُ

وكل وجدانِ حظٍّ لا ثباتَ له ... فإنَّ معناه في التحقيق فِقْدانُ

يا عامراً لخرابِ الدَّارِ مجتهداً ... بالله هل لخراب العمر عُمرانُ

ويا حريصاً على الأموالِ تجمعُها ... أُنْسيتَ أنَّ سرورَ المالِ أحزانُ

وقد فضّله أبو زيد الفازازي على معاصريه من الشعراء ببيتيه هذين.(٦٢) وربما بنى ذلك على إعجابه بطريقة نسجه، وأسلوبه الحواري، واستفهامه التقريري، ثم ربطه جميع تلك المضامين بحكمة قررتها الشرائع وأثبتتها الأيام، حتى أضحت من البدهيات، التي لا يستطيع كائن من كان إنكارها. والفازازي نفسه

ربما متأثر بالنقد الشعري القديم غير المعلل، في عصره الجاهلي أو في صدر الإسلام، وإن لم يكن كذلك، فإن الشعراء الذين طرقوا هذا الباب وأبدعوا فيه كثر جدا، وجاء شعرهم حارا، يأسر النفوس، ويسيطر على الألباب، كقول هذا الأندلسي:(٦٣)

يقولون: صبرا، لا سبيل إلى الصبر	سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
أفتح لقد فتحت لي باب رحمة	كما بيزيد الله قد زاد في أجري
هوى بكما المقدار عني، ولم أمت	فدعي وفيا، قد نكصت إلى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى	إذا أنتما أبصرتماني في الأمر
أبا خالد أورثتني البث خالدا	أبا نصر مذ ودعت ودعني نصري
وقبلكما قد أودع القلب حسرة	تجدد طول الدهر ثكل أبي عمرو

فالفازازي بحكمه هذا يقصد من؟ هل هم شعراء كانم؟ فلو كان الجواب نعم، من هم؟ وأين شعره؟ أما إن كان المقصود شعراء المغرب والأندلس؟ فلا أدري علام بنى الفازازي حكمه وتفضيله؟ فإن بسبب الحكمة التي تضمنها البيتان، فلا أوافقه في ذلك، لأن الحكمة تقلل من شهوانية الشعر، وتقربه إلى الكلام العقلاني، الهادف إلى النصح والإرشاد والموعظة، الآتية تعبيرا عن تجربة ذاتية، وعن طول تأمل وتبصر بأمور الحياة.(٦٤) وأسلوب الحكمة لا يتماشى مع الشعر، لأنه مبني على قوانين تقررها التجارب، أما الشعر فأسلوبه لا تقرره قوانين، ولا يخضع للعقلانيات؛ لأنه يحتكم إلى العاطفة والخيال والتصوير العميق، ومتى ما استطاع الشاعر أن يلبي رغبات وجدانه، أو وجدان متلقيه، كان متميزا، وفاق على أمثاله من الشعراء. عندما سئل أبو البصير: لماذا ضعف شعرك في الإسلام؟ قال: الشعر يزينه كذبه. وقد أثر عن زياد ابن أبيه أنه قال: "الشعر كذب وهزل، وأحقه بالتفضيل أكذبه". والبحتري يقول: (٦٥)

كلفتمونا حدود منطقكمْ في الشعر يلغى عن صدقه كذِبُهْ

أما إذا بحثنا عن المصادر التي استقى منها الشاعر بيتيه السابقين، فنجده يستقيها من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.(٦٦) وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ (٦٧)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.(٦٨) ومن قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (٦٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.(٧٠)

فمضامين هذه الآيات وغيرها نجدها ماثلة في كلمات ومعاني هذين البيتين، وأسلوبه الشعري يجري على منوال أسلوب المتنبي، من حيث الرصانة والحبكة والتصوير والتجربة الشعرية، وكأني به قرأ هذا الشعر، فتأثر به، واستقى منه مادته الشعرية، انظر إلى تشابه كلامهما:

الموت لا شك آت فاستعد له ... إن اللبيب بذكر الموت مشغول

فكيف يلهو بعيش أو يلذ به ... من التراب على عينيه مجعول

وقد روي عن أبن عمر رضي الله عنه أَنه قَالَ: (كنتُ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجاءَهُ رجلٌ منَ الأنصارِ ، فَسلَّمَ على النَّبيِّ ﷺ ، ثمَّ قالَ : يا رسولَ اللَّهِ أيُّ المؤمنينَ أفضلُ؟ قالَ: أَحسنُهُم خُلقًا، قالَ: فأيُّ المؤمنينَ أَكْيَسُ؟ قالَ: أَكْثرُهُم للموتِ ذِكْرًا، وأحسنُهُم لما بعدَهُ استِعدادًا).(٧١)

وما يدل على مكانته العلمية قوله:[بسيط]

لا تشهدن لغربيب ولا يقق ... حتى تشاهد فضلا غير مردود

بكل لون ينال المرء سؤدده ... مهما تجرد من أخلاقه السود

والناس لفظ كلفظ العود مشترك ... لكن يرجح بين العود والعود

أما ترى المسك حق العاج يخبؤه ... والجص مطّرح فوق القراميد

ولم يبال ابن عمران بأدمته ... حين اصطفاه كليما خير معبود

يلاحظ أن معاني هذه الأبيات مستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، مما يدل على سعة علمه وتفقهه في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية. فكلمة الغربيب استمدها من قول الله تعالى:﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٧٢) وهي جمع، مفردها غربيب أي شديد السواد. وقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.(٧٣)

يقول أبو العلاء المعري:

ما الثريا عنقود كرم ملاحـ ـي ولا الليل يانع غربيب

واليقق استمده من قول أبي العلاء المعري:

أيقنت أن حبال الشمس تدركني لما بصرت بخيط المشرق اليقق

وقد ورد في لسان العرب: أبيض يقق بفتح القاف الأولى وبكسرها: شديد البياض ناصعه. يقال لجمارة النخلة يققة وشحمة، والجمع يقق. وفي حديث ولادة الحسن بن علي رضي الله عنه ولفها في بيضاء كأنه اليقق. فاليقق: المتناهي في البياض. (٧٤)

إذن واضح أن شاعرنا متأثر بالشعر العباسي، يستمد بيته الثالث من قول المتنبي في مدحه لسيف الدولة: (٧٥)

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

الملاحظ أن كل بيت من الأربعة يحمل في طياته حكمة ومثلا يفحم المخاطب، ويكون دليلا على طرح صاحبه، وهي:

- لا تشهدن لغربيب ولا يقق حتى تشاهد فضلا غير مردود.
- بكل لون ينال المرء سؤدده.
- والناس لفظ كلفظ العود مشترك، لكن يفرق بين العود والعود.
- المسك أصله العاج.
- الجص أصله القراميد.
- المرء بعمله. وهذا المثل الأخير استمده الشاعر من قوله تعالى:﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، فالله سبحانه خص نبيه موسى عليه السلام بالمناجاة المباشرة، ولم

يبال بلونه الأسود. فالله سبحانه وتعالى جمع لنبيه موسىﷺ فضائل منها: النبوة والرسالة والتكليم والتقريب، ومنّ الله عليه بأن جعل أخاه هارون نبيا، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا. وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.(٧٦)

وكان المدح أبرز أغراض شعره، وقد أجاد فيه حتّى فاق أقرانه، وحظي بمكانة خاصّة لدى الوزير، فحسده أترابه، وتمنّوا أن يبعده عن بلاطه، فقال:(٧٧)[بسيط]

ما بعد باب أبي إسحاق منزلة ... يسموا إليها فتى مثلي ولا شرف

أبعد ما بركت عنسي بساحته ... وصرت من بحره اللجي أغترف

همّوا بصرفي وقد أصبحت معرفة ... فكيف ذلك واسمي ليس ينصرف

الشاعر مجيد للعربية أيما إجادة، ومتمكن من البلاغة إلى أبعد مدى، حيث يعبر عن فضل الوزير إبراهيم الموحدي وكرمه بطريقة مجازية جميلة، أراد أن يقول: ليس هناك كرم أعلى مرتبة من كرم أبي إسحاق، لكنه استعار لكرمه الباب، والعلاقة الجامعة بينهما أن الباب موصل إلى الممدوح، وأن الوصول إليه سبب في الوصول إلى كرمه. حذف الاسم الحقيقي، وعبر عنه بـ (الباب). ثم شبه كرم الممدوح بالبحر، وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. ثم انظر إليه كيف تمكن من النحو والصرف، حتى استعارة مفرداتهما لحاله، فقال: هموا بصرفي (أي إبعادي) وقد أصبحت معرفة (أي مقربا)، فليس ذلك ممكنا، لأن اسمي (إبراهيم) نفسه لا ينصرف، فكذلك أنا لا أبتعد.

هكذا يجسّد لنا إبراهيم الكانمي تلك المرحلة الموغلة في التاريخ.

أما من حيث القيمة الفنية لشعره، فقد أثنى عليه نقاد عصره، فالصفدي يقول عنه:" إنه جيّد النظم"(٧٨). وابن حمويه يقول إنه: "يعرب عن شعر فصيح ولفظ صحيح ووزن مستقيم ومعنى قويم".(٧٩) ومن المحدثين ابن شريفة؛ وصف شعر الكانمي بأنه جيد يجمع بين الطبع والصنعة، وهو يرتكز على شعر غزير

ومحصول لغوي كبير، "ونحن نحس من شواهده السالفة شيئاً من تأثير المتنبي، كما نلمس فيها أيضاً تأثيراً بصنعة الحريري وطريقة ألبستي، ولعل الأيام تكشف لنا منه ما يمكننا من دراسته وتحليله ويزيدنا معرفة بصاحبه، إذ إن القليل الذي نعرفه عنه يتعلق فقط بالخمس عشرة سنة التي قضاها في المغرب".(٨٠)

وعلى ضوء ما تقدم فإن الجودة التي تميز بها شعر الكانمي، واستهوت كبار النقاد، تؤكد أن الشعر في كانم مر بمراحل طويلة، مهدت لهذا الذوق الشعري الرفيع، وهذه النظرية قد عمل بها في التراث النقدي عند العرب عند تأصيلهم للشعر الجاهلي، الذي جاء ناضجا في أسلوبه وموسيقاه، وألفاظه، ومعانيه، وتصويره، لأن"النمو الطبيعي للقصيدة العربية، أوزانها وموضوعاتها، واللغة ونحوها وأساليبها، وإيجازها، يقتضي أن تكون مرت قبل امرئ القيس بأطوار كثيرة، وتعثرت تعثرات جمة حتى اكتمل هذا الشكل الذي نجدها عليه في شعر امرئ القيس ومن سبقه أو جاء بعده".(٨١)

المطلب الثالث: موسيقاه الشعرية:

عرفت الموسيقى منذ أن عُرف الشعر العربي، وقد وصلت إلينا مكتملة البناء مع الشعر« بحيث لا نستطيع أن نقطع بشيء فيما يخص مراحل نشوئها وتطورها»[٨٢]، لكنّ المؤكد أنّها تطوّرت مع تطوّر الشعر، « فالشاعر لا ينطق بكلامه في لغة عاديّة، وإنّما ينطقه موزونا، وكأنّه يلبّي فينا غريزتنا أو فطرتنا الأولى قبل أن تنشأ اللغات».[٨٣] فالموسيقى لها إيقاع معيّن، به تضيف على الكلمات روحا وطلاوة، وتمكّنها من النفس، وأنّ «الوزن أعظم أركان الشعر، وأولاها به خصوصيّة، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة».[٨٤]ويقال أيضا: لا يسمّى الشعر «شعرا حتّى يكون له وزن وقافية».[٨٥]

استخدم الشاعر إبراهيم الكانمي بحر البسيط ثلاث مرات، والطويل مرة، والكامل كذلك مرة واحدة، وهذه البحور التي نظم عليها قصائده، أدرك أحد النقاد القدامى بذوقه ميزان كل واحد وخصائصه، فقال: للطويل بهاء وقوّة، وللبسيط بساطة وطلاوة، وللكامل جزالة وحسن اطّراد.[٨٦] وهي من البحور الجزلة، لا يستخدمها إلا الشاعر الجاد، المتمكن في قريض الشعر.

- أولا بحر البسيط: وما سمي البسيط إلا لانبساط أسبابه، أو لانبساط الحركات في عروضه وضربه.[٨٧] وهو في إعداد البحور ذوات الأبّهة التي تصلح «للأغراض الجدّيّة الحزينة من فخر وحماسة».[٨٨] ويقوم هذا البحر على: « مَسْتَفْعَلَنْ، فَاعَلَنْ» أربع مرات إذا كان تامّا، فإن كان مجزوء[٨٩] فهو «مَسْتَفْعَلَنْ/ فَاعَلَنْ/ مَسْتَفْعَلَنْ» مكرر مرّتين في الصدر والعجز، وحين يكون تامّا تكون عروضه مخبونة[٩٠]وضربها مثلها «مخبون» أو مقطوع[٩١]، وحينما يكون مجزوء له عروضتان؛ مقطوعة وصحيحة، فالمقطوعة ضربها مثلها مقطوع أو صحيح، وحين تكون صحيحة ضربها مقطوع أو مذال.[٩٢]ويدخل حشوه الطي[٩٣]والخبن، والخبل[٩٤] فيه قبيح.[٩٥]وقد استخدم الشاعر هذا البحر – كما أسلفنا – في ثلاث مقطوعات:

- المقطوعة الأولى، تتألف من ثلاثة أبيات، يتصدرها:

مـا بعـد بـاب أبـي إسـحاق منزلـة يسـمو إليهـا فتـى مثلـي ولا شـرف

جاءت المقطوعة تامة؛ من أربع تفعيلات في صدر البيت، ومثلها في عجزه:

مَسْـتَفْعَلَنْ / فَعَلَـنْ/ مَسْـتَفْعَلَنْ/ فَعَلَـنْ مَسْـتَفْعَلَنْ/ فَـاعَلَنْ/ مَسْـتَعَلَنْ/ فَعَلَـنْ

عروضها مخبونة، وضربها مخبون مثلها.

- أما المقطوعة الثانية فمكونة من خمسة أبيات، يتصدرها قوله:

لا تشـهدن لغربيـب ولا يقـق حتى تشاهد فضلا غير مردود

جاءت المقطوعة تامة، مبنية على أربع تفعيلات في الصدر، ومثلها في العجز:

مَسْتَفْعَلَنْ / فَعَلَنْ/ مَسْتَفْعَلَنْ/ فَعَلَنْ مَسْـتَفْعَلَنْ/ فَاعَـلْ/ مَسْـتَعَلَنْ/ فَاعَـلْ

وقد جاءت وفق ما حدده علماء العروض، عروضها مخبونة، وضربها مقطوع.

- والمقطوعة الثانية تتألف من بيتين، وهي:

كـم سـائل لم لا تهجـو فقلـت لـه لأنّـني لا أرى مـن خـاف مـن هـاج

لا يكـره الـذم إلا كـلّ ذي أنـف وليس لـوم لئـام الخلق منهـاجي

تأسس البيتان على أربع تفعيلات في الصدر وأخرى في العجز:

مَسْتَفْعَلَنْ/ فَعَلَنْ/ مَسْتَفْعَلَنْ/ فَعَلَنْ مَتَفْعَلَنْ/ فَاعَلَنْ/ مَسْتَفْعَلَنْ/ فَاعَلْ

جاءت المقطوعة مخبونة العروض، ومقطوعة الضرب.

- ثانيا: بحر الكامل: هذا البحر يعبّر عن مضمون الفروسيّة، ويستغل الشعراء تفعيلته الواحدة المتكررة، ليستفيدوا من هذا التساوي في انفعالاته السريعة، فيفيض على النص نبضا منتظما ودفقا رحبا ويكسبه وقعا حلوا.[٩٦] وقد استخدمه الشاعر مرة واحدة ضمن المقطوعات المتوفرة بين أيدينا:[٩٧][كامل]

أزال حجابـه عـني وعـيني تـراه مـن المهابـة في حجـاب

وقـــرّبني تفضّـــله ولكـــن بعـدت مهابـة عنـد اقترابـي

مَفْاعَيْلَنْ/ مَفْاعَيْلَنْ / مَفْاعَيْلَنْ / مَفْاعَيْلَنْ مَفْاعَيْلَنْ / مَفْاعَيْلَنْ/ مَفْاعَيْلَنْ/ مَفْاعَيْلَنْ

- ثالثا بحر الطويل: أما هذا، فقد استخدمه الشاعر مرة واحدة، وهو بطـيء هادئ، يتمشّى مع أغلب الأغراض الشعريّة. يقول فيه أحد النقّاد:«بحـر الطويـل بإيقاعه البطيء الهادئ نسبيّا يلائم العاطفة المعتدلة الممتزجة بقـدر مـن التفكيـر والتملّي سواء كانت حزنا هادئا، لا صرخ فيه، أم كانت سرورا هادئـا لا صـخب فيه».[٩٨] يمتاز بالرصانة والجلال في إيقاعه الموسيقي،[٩٩] وهـو«بحـر خضـمّ يستوعب ما لا يستوعبه غيره من المعاني، ويتّسع للفخـر والحماسـة والتشـابيه والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال ولهذا ربا في شعر المتقدّمين على ما سواه من البحور...»[١٠٠] وشاع حتّى جاء ما يقرب مـن ثلـث الشعر العربي القديم فيه.[١٠١]

وبحر الطويل من البحور ذات التفعيلتين، ويتألّف من ثماني تفعيلات:«فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ» مكرّرة في الصـدر والعجـز، وهـذا البحـر يدخلـه الخزم[١٠٢] في الابتداء، فيقال لـه أثلم، وقبض[١٠٣] عروضه واجب ما لم يصـرّع، وأضربه إمّا صحيحة أو مقبوضة أو محذوفة، وإذا استعمل الشاعر إحداهن، وجب التزامه إلى نهاية القصيدة.[١٠٤]

أما البيتان، فهما:

أفي المـوت شـكّ يـا أخـي وهـو برهـان ففـيم هجـوع الخلـق والمـوت يقظـان

أتسـلو سـلو الطـير تلقـط حبّهـا وفي الأرض أشـراك وفي الجـو عقبـان

فالبيتان على الطويل التام:

فَعَوْلَنْ/مَفَـاعَيْلَنْ/ فَعَـوْلَنْ/ مَفَـاعَيْلَنْ فَعَوْلَ/مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ

فَعَوْلَنْ/مَفَـاعَيْلَنْ/ فَعَـوْلَ/ مَفَـاعَلَنْ فَعَوْلَنْ/مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ

كما هو واضح في الصورة جاء البيت الأول تام الصدر والعجز معـا، أمـا الثاني، فعروضه مقبوضة، وضربها صحيح.

إذن هكذا بدت لنا أولية الشعر الكانمي، ومن بعد إبراهيم الكانمي لم يسجّل التاريخ شاعرا مثله، أو قريبا منه، قرابة خمسة قرون تلت، وحتما لا يعني ذلك أنه لم يولد شاعر، وإنما ضعف الرواية، وعدم اهتمام الناس بجمع الشعر، إضافة إلى عوامل أخرى كثيرة، ضيعته. خاصة وبين أيدينا من الأدلة ما يشير إلى وجود شعر عربي؛ إذ ترجم المستشرق الألماني (بالمر) بعض القصائد العربية، ومنها قصيدة تضمنت أسماء بعض المايات.[١٠٥] منها أبيات قيلت في عصر الماي أحمد بن علي الذي توفي عام ١٧٩٩م. [١٠٦]

المبحث الثاني: حالة الشعر في دولة كانم في زمن الشاعر محمد الأمين الكانمي

المطلب الأول: حياة الشاعر محمد الأمين الكانمي

بعد إبراهيم الكانمي، لفترة دامت أكثر من خمسة قرون، لم يقع على أيدي المؤرّخين شعر للساحة التشاديّة،(١٠٧) حتّى نصل إلى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي. فيظهر لنا الشيخ محمد الأمين الكانمي. وإن كان بعض النقاد – وكاتب المقال منهم – يعتبرون محمد الأمين ومن عاصره من شعراء المنطقة يسمون شعراء تجاوزا؛ بل إنهم علماء، أتقنوا العربية، وعرفوا البحور الشعرية، وتأثروا بالنظم العلمي، الذي عالجوا به تلك الفنون، فعدهم بعض ممن جاء بعدهم شعراء، ولكن حينما نفتش في قصائدهم التي نظموها، وأغراضهم التي قرضوا فيها، ونصوصهم التي – بعضها – بين أيدينا، لا نحسبهم كذلك.(١٠٨) وهذه هي طبيعة الفقهاء في تشاد، لا يلجأ أحدهم إلى قول الشعر إلا مضطرا، أو ناظما لكتاب، أو واعظا مرشدا. أما القرض في غير ذلك فيعتبره من لغو القول، والكلام عنده إما زين مفيد مثاب فيه صاحبه، أو شين ضار معاقب فيه صاحبه، ولذلك من عبر منهم عن شجونه، وأحاسيسه، وما اعتمل في دواخله، فإنه إما أن يدسه، ويستخلصه لنفسه، ويقوم بحرقه في آخر أيامه. أو يبتعد عن القول فيه بتاتا، لأن المجتمع التشادي ينظر إلى الشاعر نظرة دونية، تقلل من مكانته العلمية.

اسمه ونسبه:

هو محمد الأمين بن محمد الكانمي ولد بمنطقة (دالة أو دال) بكانم عام ١٧٧٨م.(١٠٩) لكن يبدو أنه ولد قبل هذا التاريخ بزمن طويل؛ فلا يعقل أن يحفظ القرآن، ويتعلم كثيرا من العلوم المتوفرة في منطقته، ثم يسافر إلى مصر صحبة والده، وهو دون الثانية عشرة من عمره، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أن عمره ثلاثون ربيعا عندما ظهر على مسرح الأحداث التي دارت بينه وبين الفلاتة عام ١٨٠٨م. (١١٠) إذن نستخلص من هذا التاريخ أن ميلاده يوافق عام ١٧٦٨م.

ولد الكانمي بفزّان جنوب ليبيا، من أم كانمية وأب فزاني، أو العكس[١١١]، لكن بعض المصادر تؤكد أن أباه كانمي، وأمه عربية ليبية، أصلها من مدينة (هون)، أو من (تراغن)، انتقلت أسرتها منذ زمن إلى كانم.[١١٢] والشيخ إبراهيم صالح يقول: إنه من مستوطني فزان، ووالدته من عرب طرابلس.[١١٣] وكان والده الشيخ (لانغا أو ننقة) شيخا جليلا، اشتهر بالعلم والمعرفة، خاصة علوم الحديث.[١١٤]

نشأته وتعليمه:

- نشأ محمد الأمين في كانم، في كنف والده، الذي ربّاه على الخصال الحميدة، والتربية الروحية النبيلة، لم يفترقا لا في حل ولا في ترحال، حتى حال بينهما الموت، حفظه القرآن الكريم، ومبادئ الشريعة الإسلامية بمرزق الليبية، ثم رحل عنها بعد أن اختلف مع شيخه عبدالمؤمن المخزومي في مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة، ودخل طرابلس، فدرس على عدة مشائخ من بينهم الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي زيد عبدالرحمن الطبولي، وعبدالله بن غلبون.[١١٥] وفي عام ١٧٩٠م اصطحبه والده إلى محاج العلم في تلك الأيام؛ حيث الأزهر الشريف، وتنقل بين علمائه مدة خمس سنوات، ثم رحل به إلى القدس الشريف، وبقي هناك عامين، ثم عرج على الحرمين الشريفين، لخمس سنوات أخرى؛ ثلاثة أعوام بمكة، وعامين بالمدينة المنورة، ثم رحل إلى فاس، ودرس بها عامين آخرين. وقد ورد في بعض المصادر أنه هاجر قبل هذا التاريخ، لأن العام ١٧٧٩م توفي فيه والده.[١١٦] وخلال هذه الفترة، التي لا تقل عن خمسة عشر عاما، كان محمد الأمين يدرس جادّا إلى جانب فقه المذهب المالكي، أنواعا كثيرة من العلوم، كالتاريخ، والاجتماع، والسير، وأخبار الدهاة، والعمالقة من علماء الأمصار والملوك[١١٧]، كل ذلك إلى جانب علوم التصوف الإسلامي، التي أثرت في حياته الدينية أكثر من غيرها.[١١٨] كما زار القيروان وتلمسان وتمبكتو.

صفاته:

ذكر بعض المؤرخين إن محمد الأمين الكانمي يحمل هيئة جميلة للغاية، تدعو صورته خلقيا إلى الإعجاب، بشوش المحيا، لا يمل منه جليسه[١١٩]، وكان – رحمه الله – عالما جليلا واسع الاطلاع، وصفه الشيخ عثمان بن فوديو: بالعالم العلامة،[١٢٠] اشتهر بالصلاح والولاية والورع والتقوى، لا يقل مكانة عن ابن فوديو، حريص على تطبيق حدود الشرع الإسلامي، حتى يذكر أمه أمر بجلد أحد رعاياه لاشتباهه بارتكاب الزنا، فجلد الرجل أربعمئة جلدة، بسوط مصنوع من جلد الخرتيت، صنع خصيصا لتنفيذ عقوبة من ثبت في حقه الجلد. لكن الرجل مات قبل أن تستكمل العقوبة.[١٢١]

إلا أن هذا الوصف يحتاج إلى أعادة نظر، لأن السيرة التي قيلت في حق الشيخ الكانمي، توضح أنه رجل عالم بقواعد الشرع، لا يمكن أن تصدر منه عقوبة دون أن يتثبت من حيثياتها، خاصة إذا علمنا أنه كتب منهاجا للحكام الطغاة، يهتدون به في تطبيق العقوبات، والفصل في المنازعات.

كان الشيخ الأمين كثير الاختلاء بنفسه، ولا يظهر عند الضرورة، كان قد بنى لنفسه مخابئ، شبيهة ببيوت الخلوة للدراويش المتصوفة، وهو متقشف، ميال إلى الزهد، لذلك أحبه الناس كثيرا[١٢٢]، وكان رجلا متسامحا، حتى مع غير المسلمين، زاره مجموعة من الأوروبيين، منهم: أودني، وكلابرتون، ودينهام، استقبلهم بكل حفاوة وتقدير، وأنزلهم ضيوفا عنده[١٢٣]، وشهدوا بأنفسهم على طيبته وسماحته، وجدوه في غرفة مظلمة، جالسا على سجادة، ورداؤه غاية في البساطة؛ يتكون من ثوب أزرق، وعمامة ذات شال.[١٢٤] يقول عنه دنهام: ذلك النموذج الكامل، الذي اكتسب حبا كبيرا، واحتراما واسعا من شعبه، بسبب استقامته واعتداله المتناهيين، وبسبب ما انطوت عليه فطرته من إحسان، كان وسيما حسن المظهر، ينطوي وجهه على الرأفة والرحمة، وكانت عيناه واسعتين لامعتين، وكان معتادا على تغطية وجهه على طريقة الطوارق، وكان حسن الهندام، بسيطا في غير تكلف،

وكان عقله شغوفا بحب الاستطلاع، عندما زارته البعثة الإنجليزية بقيادة دينهام، أهدته صندوق (كورديان)، لم يقتنع الشيخ إلا بعد أن اهتدى إلى كيفية إدارته، في الوقت الذي كان ذلك موضع اعجاب من رجال بلاطه.(١٢٥) وقد أجمع كل من زار الكانمي وقابله، أو حتى سمع عنه أنه كان ملاكا مقارنة بمن حوله، بسبب كرمه وحلمه وحبه للخير أخضع الكثيرين، ومع ذلك عندما كان الموقف يستدعي الحرب، تجده ثابتا، رابط الجأش، ماهرا في القيادة.(١٢٦) تجمعت في شخصيته مقومات القائد العظيم، فكان يتمتع بعبقرية فذة، وحكم سديد، وكياسة في التصرف، ويؤكد المؤرخون أنه كان على قدر يسير من الغرور، مشوب بطموح لدرجة أنه رفض لقب السلطان، واكتفى بلقب الشيخ.(١٢٧)

قدم الشيخ إبراهيم صالح نظما لبعض في صفات الشيخ الكانمي، أشار فيه إلى عبقريته، وعلمه، وبعد نظره في سياسة إمبراطورية عظيمة، لحقها الضعف، وآلت إلى السقوط، وكيفية اختيار الكانمي لوزرائه، والمساعدين له من المخلصين له، وقد أبلوا بلاء حسنا في تخليص البلاد. يقول الشيخ إبراهيم صالح الحسيني:(١٢٨)

يقول إبراهيم ابن صالح مبتغيا من رب المنائح
الحمد لله الذي منه المدد إلى جميع ما من اللبس وجد

إلى أن قال:

فهذه قصيدة في ذكر محمد الأمين عالي القدر
الكانمي الماغمي نسبا المالكي في الفروع مذهبا
إلى الجنيد ينتمي والأشعري في سيره وعقده المحرر
لما أتى محمد الأمين ومعه مساعد أمين
من كل خل عربي عبقري تعقله وزيره المدبري
محمد المعروف بالتيراب والشاذلي منه ذو اقتراب
وأحمد بن القوني ذو المعارف قد استقى من منبع المعارف

ومـــنهم خليلـــه الحيمـــادي ذاك الـــوداوي فـــائق الأمجـــاد
وكلـــهم قامـــات في الجهـــاد مـــن أجـــل تحريـــر للـــبلاد
ونـــال كـــل مـــنهم الشـــهادة وهـــي لعمـــري أفضـــل العبـــاد

عودته إلى الوطن:

قبل أن يغادر محمد الأمين الديار المقدسة، مرض والده مرضا شديدا، وتوفي بالمدينة المنورة، ودفن هناك(١٢٩). ولما استقام له طريق المعرفة عاد إلى موطنه كانم واستقر بمنطقة (ميقوي)، وقيل إن أول مركز بناه في منطقة (أنقالا)،(١٣٠) وتزوج بنت شيخ المنطقة(١٣١)، وأصبح شيخا، نائبا عن السلطان، عمد الكانمي بنشاط وعزيمة على تعليم الناس أمور دينهم، يؤمهم في الصلاة، ويعقد لهم حلقات الدروس(١٣٢)، واشتغل بالوعظ والإرشاد، حتّى كثر أتباعه، وصار من العلماء البارزين في كانم، الذين يعملون على نشر الإسلام، وتثبيت قواعده، وتطهيره من شوائب الوثنية، والبدع والخرافات الوثنية.(١٣٣)

أشهر طلابه:

بعد عودة الكانمي إلى منطقته، أسس أول خلوة في (انقالا)، وسرعان ما انتشرت أخباره في أنحاء المملكة، بعد تراجعها عن دورها الثقافي في الفترة السابقه. وقد ذكرت المصادر بعضا من طلابه النجباء منهم: المعلم، والشيخ أحمد قوني، والشيخ إبراهيم وداي، والحاج سوداني صديق الكانمي من الصغر من مرزق.(١٣٤)

وفاتـــه:

بعد رحلة طويلة، مليئة بالعلم والعمل، حافلة بقضايا السياسة وشؤون الحرب، وبعد حكم قصير الأمد، وكثير الانتصارات والإصلاحات، انتقل إلى جوار ربه الشيخ محمد الأمين الكانمي في عام ١٨٣٥م، وقيل عام ١٨٣٦م(١٣٥)، وأغلب الظن أنه توفي بعد هذا التاريخ بزمن، لأن الباحث عثر على ختم للشيخ محمد الأمين منقوش فيه (ما شاء الله كفى بالله ثقة لعبده محمد الأمين بن محمد الكانمي عام

١٢٣٨ه). [١٣٦] وهذا التاريخ يتفق ١٨٣٧م، وتولى من بعده على سدة الحكم ابنه عمر بن محمد الأمين. [١٣٧]

وقد أورد أحد الباحثين أبياتا من قصيدة قالها الشيخ يوسف القرغري في رثائه للشيخ محمد الأمين الكانمي إثر وفاته. ومما ورد فيها:

يسيل على الخد مثل السيول أيا عين جودي بدمع هطول

أيا قلب حزناً لفقد الوصول ويجري على الفور بعد التلول

مربّي المساكين عزّ الذليل

إلى أن قال

وطبّ الكلوم وضوء الخدوم لقد غيّب الغيب شمس العلوم

وموت إمامي إمام القروم وأردف أعجاز كلّ الهموم

كثلم بدا في الحسام الصقيل

إلى أن قال:

فبان الدليل لدان ونـاء بدا بدرنا في سماء العلاء

بعام شفوق تلا حرف باء على أنه في ازدياء البهاء

نما سعد عصر صفي كالجديل

فالقيمة التاريخية واضحة في هذه القصيدة، خصوصاً في أسلوبه الإبداعي، حيث سجّل تاريخ وفاة الشيخ محمّد الأمين الكانمي بالأسلوب الحسابي، وهذا من خصائص أسلوب العلماء الشعراء في هذه البلاد، في القرون المتأخرة، وقد شاع وانتشر بين الشعراء، وتعينت أنواعه، حتى إنه لم يجر في الأزمنة المتأخرة أمر ذو بال دون أن ينظم له بعض الشعراء تاريخاً، ومثلاً يقول الشيخ يوسف:

بعام شفوق تلا حرف باء على أنه في ازدياد البهاء

في هذا البيت أرّخ الشاعر لوفاة الشيخ محمد الأمين الكانمي» بعام شفوق تلا حرف باء«، هذا الرمز يشير إلى عام ١٨٣٧م.

الكانمي على عرش المملكة:

تعرّضت كانم في عهد السلطان أحمد علي لغزو الفلاّتة[١٣٨]، عندما قام عثمان بن فودي بدعوته الإصلاحية في نيجيريا، بداية القرن التاسع عشر؛ بعد أن نمي إليه أنّ أهل كانم يناصرون أعداءه الكفرة، فأرسل إليهم جنده بزعامة القوني مختار، واستطاعوا أن يدخلوا العاصمة (بيرني)، عام ١٨٠٨م.[١٣٩] ويهرب السلطان، وأخذ يتنقّل من مدينة إلى أخرى حتّى وصل إلى منطقة وزيره الشيخ محمد الأمين الكانمي، واحتمى به، فقام الأخير وجمع له جندا عظيما[١٤٠]، واستطاع أن يهزم الفلاتة، ويعيد له حكمه، ولم يزل حاكما، حتى توفي وخلفه ابنه دوناما بن أحمد، وفي عام ١٢٣٢م/١٨١٦م، كرّت قوات عثمان بن فوديو مرة أخرى على كانم، وتغلبت عليه، فلجأ السلطان دوناما إلى محمد الأمين الكانمي يستعين به[١٤١]، بعد أن رأى كثرة أتباعه، استجاب الشيخ محمد الأمين، وحشد جماعته، وخلال أيّام التقى الجيشان، وما هي إلا لحظات كرّ وفر، حتّى سقط قائد جيش عثمان بن فوديو صريعا، وهرب من تبقّى من جنده نحو (سكتو) عاصمتهم حيث عثمان بن فودي. ثم بعد عام تلا، استعد أنصار عثمان بن فوديو من جديد، ليعيدوا الكرّة على كانم. ومرّة أخرى يستنجد السلطان دونامة بن أحمد بالشيخ محمد الأمين الكانمي. ويستجيب له مرّة أخرى، وبالفعل ردّ كيدهم، وأعاد الأمن والاستقرار إلى ربوع البلاد.[١٤٢] فكان لهذا النصر أثر كبير في نفس السلطان، وأتحف محمد الأمين بالهدايا الثمينة، مكافأة لإحسانه، وطلب إليه البقاء معه في العاصمة، متعللا بقوله: لعل جماعة عثمان بن فوديو يغيرون علينا من جديد، فمن تمام إحسانك إلينا أن تبقى معنا.[١٤٣]

ويقال إن محمد الأمين طلب إلى السلطان أن يغير مقر حكمه، بسبب التدمير الكبير الذي لحق بالمدينة، وأن موقعها القريب من جماعة ابن فوديو يعرضها لهجومهم. فامتثل السلطان لهذا المقترح وبنى مدينة جديدة بمنطقة (كابليه).[١٤٤] وقيل مدينة (كوكا) ورحل إليها عام ١٨١٤م.[١٤٥] يقول أحد الباحثين يعد الكانمي

مثالا فريدا في العالم الإسلامي، رجل دفع نفسه إلى مستوى السلطة دون إراقة دماء، أو اغتيال أحد، أو إبعاد الذين وقفوا في طريقه، لقد اكتسب حب الجميع ، كان السكان يتوافدون إليه، راغبين في اختياره حاكما عليهم، قبل أن يتنازل له السلطان الفعلي، لأنهم أحبطوا من ضعف السلاطين، حتى طمع في دولتهم من كانوا سابقا تابعين لهم، يأتمرون بأمرهم، وينتهون بنهيهم، فالرعية لاحظت قوة شخصية الكانمي، فوضعوا فيه الثقة على تخليص دولتهم، وأعادتها لسابق عهدها التليد، لذلك كانوا يفدون إليه، تعزيزا لمكانته، راغبين في تكوين قوة تعزز سلطته، وكانت الناس يتوافدون إليه كل يوم، حتى عرضوا عليه تقديم عشرين حصانا كل يوم، ليتمكن من إنشاء قوة أشد تنظيما[١٤٦]، تواجه به الخطر الخارجي، خاصة الخطر الفلاتي، والباقرماوي. ومن هنا قويت شخصية الأمين الكانمي، فتنازل له السلطان عن نصف إيرادات الأقاليم التي تم تحريرها، مكافأة له.[١٤٧]، ومنذ ذلك التاريخ أصبح لكانم حاكمان؛ محمد الأمين الكانمي صاحب النفوذ الحقيقي، ودونامة حاكما شرفيا، فيما يشبه اليوم النظام البريطاني. [١٤٨]

وذكرت بعض المصادر أن محمد الأمين تقوت شوكته بسبب العلاقة التي كانت تربطه بحاكم ليبيا يوسف باشا القرمانللي، الذي استنجد به الأمين إثر هجوم الفلاتة، فأرسل واليه بفزان محمد المكني، وقاتل إلى جانبه، حتى دحر العدو. وفي الهجمة الثانية أيضا استعان به، وفيها أرسل إليه عبدالجليل غيث سيف النصر.[١٤٩]

بعد أن استقرت الأوضاع، واستتب الأمن، رأى محمد الأمين أن سبب غارات الفودويين هو سوء تفاهم بين الطرفين؛ فعزم على محاورتهم بالتي هي أحسن، منطلقا من وضعيته القوية على أرض المعارك. تبادل الطرفان عدة رسائل، يمثل الشيخ محمد الأمين الكانمي الطرف الأول، والشيخ عثمان بن فودي وأخوه عبدالله يمثلان الطرف الآخر، وقد خلفت نثرا فنيا، وشعرا عربيا جيدا.

إن التنازل الطوعي الذي ذكرناه سابقا لم يحقق الغاية المنشودة منه، ولم تدم العلاقة بين محمد الأمين ودونامة طويلا، فانقسم المجتمع بين مؤيد ومعارض، واتسعت الهوة بينهما، إلى أن عزم دونامة على التخلص من عدوه. وعندما علم الكانمي بالمؤامرة التي تدبر بحقه، قام بخلعه، ونصب عمه محمد بن علي مكانه، وهو الآخر لم يذعن للكانمي، فقام بإعادة السلطان السابق مرة أخرى، بشرط أن يتقاسم الطرفان إيرادات الدولة. (١٥٠) وقد حاول دونامة مرات عديدة أن ينقلب على غريمه، حتى استعان بسلطان باقرمي للقضاء على الكانمي، لأن الأخير تضايق من كثرة الضرائب التي ظل يدفعها لمحمد الأمين مدة طويلة، ودخلت باقرمي في حرب ضروس معه، استمرت ثماني سنوات، من ١٨١٦ حتى ١٨٢٤م، وظل محمد الأمين سلطانا على كانم – برنو، حتى استخلف ابنه عمر من بعده. (١٥١) وتمكن في سنة ١٨٤٦م أن ينهي حكم الأسرة السيفية، ويحكم كانم بالفعل والاسم.(١٥٢)

هكذا استعاد الكانمي لبلاده القانون، والنظام، وشجع المحافظة على سنن الدين الإسلامي، ونشر التعليم، وعمل على إقامة جيش وطني، مجهز بالأسلحة الحديثة، وبذل ما في وسعه للنهوض بالزراعة، والتجارة، فدخل في علاقات تجارية مع الإنجليز، ليضمن إقامة تجارة مشروعة في بلاده، وعمل في الوقت نفسه على إصدار عملة رسمية بمساعدة إنجلترا.(١٥٣)

ورغم الدور الذي قام به الشيخ محمد الأمين، فأنه لم ينج من كيد المتربصين، ومؤامرات المتآمرين، ومكر الحاسدين، ولما ضاق بهم زرعا، أرسل أبناءه إلى أخته رقية – ربما كانت مستقرة في فزان – يأمرها أن تأخذهم إلى الديار المقدسة، ويبقون هناك حتى يصل إليهم هو أيضا، يقول في رسالته: إن لذائذ الدنيا ونعيمها كأضغاث الأحلام، والسفيه من اغتر بها، وأركن إليها، ولقد صغرت في عيني الدنيا، وازدريت ما يراه الناس منها جميلا، ولا أعز عندي من الخروج من أمرها، إن وجدت لذلك سبيلا، وإني باعث إن شاء الله في هذا العام مع المرسول الذي ذكرته اثنين من الأولاد أو ثلاثة للمدينة المنورة يقرآن هناك بجيرة رسول الله

ﷺ ثم إن يسر الله لي الوصول بهم، كان ذلك المطلوب، وإلا فقد أخرجت بعض ذريتي من البلاد السودانية المظلمة إلى البلاد الإسلامية المنورة، وأوصيكم بتقوى الله العظيم في الخطرات واللحظات، ولا يغركم ما ابتلينا به من الأمور الدنيوية، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني، ولولا مراعاة الحقوق الشرعية، التي ثبتت علينا الأهل والعيال لخرجت مما أنا فيه خروج العبد الأبق، ولولا خوف العاقبة ورجاء الوصول الأماكن الطاهرة ما آثرت الحياة ولا اخترتها إن خيرت والله على ما نقول وكيل.(١٥٤)

يتضح من هذه الرسالة أن باعثها كثرة المؤامرات التي تعرض لها الشيخ الكانمي، رغم الفتن والحروب الخارجية، التي استطاع الانتصار فيها، إلا أن المؤامرات الداخلية كان أشد عليه، لأن ظلم ذوي القربى أشد مضاضة، وربما بعد الانتصار الذي تحقق له على كانم، ومنه تخلص من الأسرة السيفة، وخلص له الحكم، واستقام له أمر الرعية، ترك السفر، وآثر البقاء، لكن أبناءه لم بحالهم بعد ذلك. والله أعلم.

المطلب الثاني: شعره.. عرض وتحليل

ذكر بعض المؤرخين أن الشيخ محمد الأمين الكانمي كان شاعرا جيدا(١٥٥)، ومع قدرته فإنه لم يكثر منه، وإنما استخدمه لأغراض علمية؛ نظم فيها بعض الفنون، وأغراض قضائية، ورسائل سياسية رد فيها على الرسائل التي كانت ترد إليه من قادة دولة سكتو المجاورين لهم، والذين دخل معهم في سجال حربي، وبعد أن انتهت الحرب العسكرية، تبادلوا رسائل سياسية، يبين كل طرف موقفه من الحرب، ويرد عليه الآخر، وفي إحدى الرسائل التي كتبها الشيخ محمد الأمين نثرا، ذيلها بأبيات شعرية، قال فيها:(١٥٦)[طويل]

ألا عم صباحا واحضر الذهن إنّني حريص على من يقبل القول بالفهم

بإنّي أرى نفسي على الحقّ والهدى وما زغت يوما عن طريق ذوي العلم

وما كنت مختارا لما قد سمعته	من الغزو والغارات والسفك للدم
ولست بعات في قتالي ومعتد	عليهم، ولكن دافع الجور والظلم
كإنقاذ غرقى والحريق ومن ظُلم	وذا واجب لا خوف فيه من الإثم
وفي الصلح خير إن رضيتم جوابنا	لننجو من التأويل والقول بالرجم
ولكن جيراني الذين يلونكم	ذوو خبط لا يرتضون بذي السلم
فنسأل ربّ العرش يجمع أمرنا	على البرّ والتقوى ويحسن بالختم

هذه القصيدة تدل على ملكة صاحبها، لما لها من ديباجة قويّة، رغم ارتجاله إيّاها، حيث يقول: كتبت الأبيات بعد أن ركب الأصحاب على عجل، وألحقتها، فلا تنظروا ما فيها من خلل، والمقصد صحيح.(١٥٧)

هذه القصيدة – إن جاز لنا تسميتها – تتسم بالوضوح والمباشرة، مليئة بالحجج والبراهين، والتعريض أحيانا، لغتها بسيطة، تكاد تخلو من التصوير البياني، والمحسن اللفظي، خلت عن العاطفة، وطغت عليها العقلانية، والشعر أساسا نغم وألحان وإنشاد وموسيقى تشجّي وتمتّع، وتعبير عن صور الخيال البديع.(١٥٨) وقد أشاد أحد النقاد بهاوبين ارتياحه لناظمها، يقول:"أما شعره، فعلى قلته، فإنه ينبئ عن شاعر متمكن، خبر الحياة، لكثرة تجاربه، فضلا عن حصيلته الثقافية، واللفظية".(١٥٩)

صحيح أنها تحمل طابعا وعظيا جهاديا وتربويا، تعبر عن وعي ديني، لكنها من الناحية الفنية تفتقر إلى روح الشعر الحقيقي. ومن أهم مميزاتها أنها:

- المضمون والمعاني: إن القصيدة مفعمة بالروح الإسلامية الأصيلة، وتتناول محاور مهمة، منها:

١- الدعوة إلى الاستيقاظ والنهوض (عم صباحا واحضر الذهن...)، للعمل بالعلم، والأخذ بالمعرفة، وعدم الركون إلى الأخبار المنقولة، والأكاذيب المفضوحة.

٢- أن ناظمها تمكن من إبراز موقفه الحقيقي، معتمدا على أسلوب المنطق، والحجج، ويطلب من المخاطب معرفة ذلك، والتثبت منه، وعدم أخذ المواقف

بالظنون (فإني أرى نفسي على الحق والهدى ...)، فيه تأكيد على أهمية الاستقامة، وعدم الاغترار بالباطل، وكأنه هنا يحاجج خصمه مهتديا بالخطاب القرآني، الذي يجمع بين الدعوة بالحسنى، والبيان العقلي، والإنذار الرشيد ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.(١٦٠)ولم يذهب إلى الحرب والنزال إلا اضطرارا، ثم لم يبالغ في قتاله للمعتدين، (ولست بعات في قتالي ومعتد ... ولكن دافع الجور والظلم)، وهنا تظهر الحجة القرآنية الواضحة المطالبة بإنقاذ الغريق، والحريق، ورد الحقوق لأهلها، وفي فقه النوازل والكوارث وجوب والإسراع في نجدة الغريق، أو المحترق، وجوب شرعي، وأخلاقي، يجمع بين الرحمة والنجدة، والغيرة على حياة الإنسان، وهذا يعد من أعظم القربات إلى الله، سواء كان إنقاذا ماديا أو معنويا، كما هو في خطاب الشاعر. والإهمال في الإنقاذ يعد تفريطا، وقد يصل إلى الإثم. وهنا تبرز بلاغة الشاعر، وقوة حجته؛ فاستخدم لحال الضالين والمنحرفين، الغرق والاحتراق؛ لأن كليهما مؤديان للهلاك.

٣- وفي المحور الثالث، يوجه دعوته لمحاوره إلى الصلح، ووحدة الصف (وفي الصلح خير إن رضيتم ...) وهو مبدأ رباني جاء في القرآن الكريم:﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، (١٦١) ويقول أيضا: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١٦٢) ويقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(١٦٣) فالصلح مبدأ إسلامي عظيم، وأصل من أصول السلم الاجتماعي والدولي، والإسلام يدعو إلى الصلح العادل، ومن هنا تمسك به شاعرنا، وأبداه في رسالته إلى عثمان بن فوديو.

٤- وفي محوره الأخير، يدعو الله سبحانه وتعالى أن يجمع كلمتهم، ويوحد صفهم؛ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١٦٤) ويقول المصطفى ﷺ: (قِتَالُ المُسلِمِ كُفرٌ، وسِبابُهُ فِسقٌ)، (١٦٥) (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) (١٦٦)، و(مَثَلُ

المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى). (١٦٧)

هكذا يريد محمد الأمين الكانمي أن يكون أمر المسلمين وواقعهم، ما بينهم يجب أن يكون التواصل والتراحم والتعاضد والمودة، لا الانشقاق، والتباغض والتناحر، عدوهم المشترك هو عدو الإسلام، وفي مقدمته الجهل والمرض والخراب.

عندما وصلت رسالته إلى خصمه، شمر هو الأخر عن ساعديه، ورد عليه محمد بلو بن عثمان بن فوديو بأبيات يضاهيها، وأدلة يدحض آراءه فيها، فيقول:(١٦٨)

ألا من مبلغ عني الأمينا	رسالة ناصح يبدي اليقينا
تعلم إننا ما رمينا به	برءاء فاقف العذر فينا
وأنما تغلبنا عليهم	علوا أو فسادا قاصدينا
ولكن حين أخرجنا اعتداء	وبغيا – صاح – قمنا دافعينا
تبين أمرنا هذا أخان	وفتشه ولا تعجل علينا
دع عنك الركون إلى الأعادي	ونصر الظالمينا الفاجرينا
وتعلم أنهم أهل اعتداء	ووال أخا الصلاح المؤمنينا
وخالهم وظاهرهم عليهم	فإن الله مخزي الكافرينا

واضح أن الشاعر عارض فن النقائض في الشعر العربي القديم، إذ جاء رده على نفس المنوال، الذي قامت عليه قصيدة محمد الأمين الكانمي؛ استخدم بحر الطويل، والروي نفسه، ومن حيث المضمون كذلك بنفس الطريقة الحوارية، ذات الطابع الدعوي، والوعظي، لأنها تحمل خطابا إصلاحيا، وردود أفعال، ودحض الحجة بالحجة، ورفض الظلم والفساد، الذي اتهمهم به الكانمي (علوا أو فسادا قاصدينا)، وهنا إشارة إلى رفض الاستعلاء والفساد، أسلوبه وعظي مشوب بالتخويف، ونقد التخاذل أو الانحراف، والتحذير من الركون إلى الأعداء، وهو

تلميح للكانمي، وكأن موقفه يحالف الباطل، ويخالف مطالب القرآن الكبرى، المانعة من اتخاذ أعداء الإسلام أولياء: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾(١٦٩) وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾(١٧٠) وقوله ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.(١٧١)

فالقصيدة تحاكي خطابا خطابيا دينيا حركيا، أقرب إلى التوجيهات الإصلاحية، والسياسية، التي تنتقد التحالف مع أعداء الإسلام.

أما أسلوب القصيدتين؛ فكان واضحا، شديد التركيز، مليء بالحجج والبراهين، التي تعضد موقف كل طرف من الأزمة، التي تحولت إلى قتال دام، زهقت لأجلها أرواح كثيرة. ثم تكرار أفعال الأمر: دع، تعلم، واستخدام روي النون المفتوحة، منح القصيدتين إيقاعا خطابيا متزنا، لكنه يبدو متكلفا أحيانا.

أما من حيث البناء الفني فإن الخطاب الحواري، منح القصيدتين طابعا دراميا، نقاشيا، واستخدام الطباق والمقابلة : الظالمين، مقابل المؤمنين، علو، مقابل صلاح، ثم الوضوح واتساق الأبيات، وترابط المعاني، وتبني منطقا متصاعدا في التشخيص، كل ذلك أعطى موضوع القصيد بعدا جماليا.

إلا أن الصور البلاغية تكاد تكون محدودة؛ لا كثافة تشبيهات، ولا استعارات بارزة، ولا كنايات تعمق الصورة لدى المتلقي، مما يجعل القصيدتين أقرب إلى النظم، منه إلى الشعر الفني الرفيع، فالأسلوب الخطابي يغلب على الجمالية الشعرية، وهو مقصود غالبا في النصوص ذات الطابع الديني الإصلاحي.

وله قصيدة أخرى بمناسبة انتصارهم في إحدى المعارك على سلطنة باقرمي، فأنشد مفتخرا بشجاعة جيشه، ويصف شوكتهم، ويشكر الله بالنصر الذي أتي به في هذه الوقعة، وقال: (١٧٢)

نسيم الصبا إن جئت ربعا بكوكوا وشاهدت ما في الباب من متردد

يسائل ريح الصبح والعصر هل أتي من القوم ذو زاد وغير مزود

لينهي إلى خود أطالت سماؤها ... عشائر تنفي ما لدى الجاش من وجد
كحيلة طرف ضارع البان قدها ... مليحة أوصاف موردة الخد
كعوب لعوب من رخاويد قومها ... وميسمها الكافور في نعجة الورد
موحشة أنيسة شرح حالها ... جمال دلال للوصال وللصد
يصافي يعادي الليل والصبح خدنها ... أعيرت من الفضلين وصفين بالضد
فبلغ لذاك الربع مني تحية ... وجيرانه بالقرب كانوا أو للبعد
وحتى البطاح والمعاهد والربى ... وكل حبيب يشتكي لوعة الفقد
وبشر أهالينا وكل بلادنا ... وجمع أحبائي ذوي الجد والجهد
بأن عظيم المن جل ثناؤه ... حبانا نهارا في الطغات ذوي الجحد
أباد جنود الشرك بعد عتوهم ... وباءوا بأنواع من الخزي والطرد
أتيناهم يوم الخميس بجحفل ... كصيب مزن هد بالبرق والرعد
ولا ماء إلا الضامرات وفوقها ... كماة من الأبطال والأسد الورد
بعزم وحزم آخذين سماهرا ... وما ثم إلا من يقول أنا وحدي
تلاحظهم شزر من الغيظ ضلع ... صدوقون بالهيجاء بالعز والقصد
حماة كماة نسج داوود لبسهم ... خبيرون بالأقدام والطعن والورد
تلاحظهم شزر من الغيظ ضلع ... صدوقون بالهيجاء بالعز والقصد
يرون الفرار اليوم أقبح ما يرى ... وورد حياض للموت أحلى من الشهد
تحللهم ترس بأيدي ضراغم ... كريه لقاهم لا يعابون بالرد
أذا أُوقدت نار الوغى أن قلوا لها ... بنية قوي العزم أقوى من الطود
ففلوا بني الأكراد أعظم فلة ... ووفوا ديونا للطيور وللصيد
أبدناهم قتلا بحنا حريصهم ... وكنا من السباق للعز وا لمجد
يقر لنا الشاني بذاك وكلنا ... وفيّ إذا يجدي شفي إذا يردي
فأي عزيز لا يهاب لقاءنا ... وأي أبيّ لم نذلله بالقيد
ألم تر للأكراد صرعى كأنهم ... بقية عاد أُسمعوا صيحة البعد

فحمـــدا لمولانـــا وشـــكرا لـــه عـــلا على نعمـة جلـت علـى الحصـر بالعـد
وأزكـــى صـــلاة مـــع ســـلام معطـــر على المصطفى المبعوث للخلق بالرشد
وأصـــحابه والآل واغفـــر ذنوبنـــا وهـب لـي مقامـا رب في الجنـة الخلـد

تحليل ونقد القصيدة:

بعد الانتصار الذي حققه الشيخ محمد الأمين على أعدائه الباقرميين، وانتشى صبح الانتصار، صار يغرد في سماء الشعر، مفتخرا على أعدائه، وعلى كل مـن كان مترددا على دخول المعركة من قومه. استطاع أن يعبر عن مراده بتفاصـيل دقيقة، ساعدته تجربته الشعرية القوية على أن يتحرك عبـر المفـردات الدقيقـة، والجمل البلاغية الرصينة، التي زادت القصيدة روعة، ومن الصور جمالا وإشراقا.

استهل قصيدته على عادة الشعراء القدماء بمقدمـة غزليـة، خاطـب فيهـا محبوبته وديارها، ورغم أن مقدمته نسيبية، إلا أنها جاءت على طريقته الخاصـة؛ مخاطبا نسيم الصبا، الذي جعل منه كائنا عاقلا يفهم الحوار، ويجيب على تساؤلات صاحبه. وكان المكان والزمان حاضرين؛ حيث مدينة كوكوا، والزمان يوم الخميس حين انتصر على أعدائه.

إن التراث القديم أيضا يشكل حضورا قويا: (هل أتى من القوم ذو زاد وغير مزود)، يستقيه من قول النابغة الذبياني:

أمـــن آل ميـــة رائـــح أو مغتـــدي عجـــلان ذا زاد وغـــير مـــزود
زعـــم البـــوارح أن رحلتنـــا غـــدا وبـــذاك حـــدثنا الغـــراب الأســـود

وكأنما هنا يخاطب الربع، ويسأله عن المتـرددين، والشـاكين فـي أمـر الانتصار، والذين أقنعوا محبوبته الحسناء باستحالة تحقيقه، فإن كتاباتهم لم توفـق، وقناعاتهم كذبت، وكأني به يستحضر قول الشاعر الحمداني:

السـيف أصـدق إنبـاء مـن الكتـب في حـده الحـد بـين الجـد واللعـب

الكانمي لم يقو على الصبر، ويؤجل نشوة الانتصار، يأتي إليها بعد أن يفـي المقدمة الغزلية حقها، وإنما مزج بينهما مزجا؛ ليبرهن أن الانتصار الذي حققه في

حربه العسكرية، يشبه حربه مع محبوبته، الكعوب اللعوب، صاحبة القوام اللين، ذات الميسم الكافوري، بجمال البقر الوحشي، وهي التي استطاعت ان تجمع بين المتضادات: موحشة ومؤنسة، جمال ودلال، وصال وصد، يصافي ويعادي، الليل والصبح، القرب والبعد، كل هذه الكلمات اجتمعت في محبوبته، ومنها نستشف صورا أعظم مما اعتاد الناس عليه، وفهموا معانيه، وذلك ما جعل القصيدة كلها تتحرك رقة ورشاقة، وتنبض حيوية وجمالا، يجبر القارئ على متابعتها حتى آخر كلمة، ثم يقول: هلّا زداتني!

بعد هذه المقدمة ينساق بنا دون أن نشعر، وكان انتقالا طبيعيا، ينساب كانسياب الماء في واديه، يبلغ ذلك الربع الذي تسكنه محبوبته وكل المجتمع، ويبشرهم جميعا بأن الشيء العظيم الذي كان مستحيلا، يد تأكد تحقيقه، فحق لهم أن يفرحوا، بنصر الله لهم وأخذي أعداءهم، وهنا تشكل آيات القرآن الكريم حضورا قويا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(١٧٣) ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١٧٤) ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١٧٥) ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾.(١٧٦)

ثم يرسم لنا صورة دخولهم المعركة؛ بجيش جرارة، ينساق مثل المطر، المصحوب برعد وببرق، يضرب في كل اتجاه، أتوا بخيل ضامرة، عليها كماة مثل الأسود، وكلهم عزم وحزم حاملين رماحا قوية مستقيمة، ودروع ساترة، وكلهم واحد منهم يقول: أنا لها وحدي!، هم قلة في عددهم، لكنهم ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾(١٧٧) لا يولون الأدبار، ولا يعرفون الفرار يوم الزحف، إذن معهم جميع معدات الضرب والطعن، وبتوفيق من الله نصرهم وأخزى عدوهم.

فالقصيدة من حيث:

- الوحدة الموضوعية: نجدها متكاملة في تشكيلها للصورة التي قصد رسمها الشاعر محمد الأمين الكانمي، لأنه ذو تجربة شعرية قوية، لديه مخزون وافر من المفردات الشعرية القديمة، متأثر بشعراء الرسول ﷺ، مستحضرا الفتح الإسلامي في بداية الدولة الإسلامية، يوم بدر، وفتح عمورية، وغيرهما من المواقع التاريخية العظيمة، إذن رصيده الغوي الكبير، وتجربته المتفردة مكنته من صياغة تفاصيل القصيدة، وتسلسل أفكارها، مع ترابط أبياتها، حتى استطاع أن يعطي الموضوع حقه ومستحقه.

- أما اللغة فمفرداتها ممزوجة بين القديمة المعجمية، الغريبة أحيانا، وبين المتداولة، المستخدمة في الوسط العلمي. وفي كلا الحالتين أنها معبرة عن المعنى المقصود بدقة متناهية، وبعضها لا يكاد يصل إليه القارئ إلا بالرجوع إلى المعاجم اللغوية.

- أما العاطفة والخيال: فإن التصوير البياني؛ المتمثل في الاستعارة والكناية والتشبيه، جسد معاني خيالية، زادت من جمال القصيدة وروعتها، ثم تناسق الكلمات، ومصاحبتها للموسيقى الخارجية والداخلية، زادت من وحدة الانفعال والتفاعل، استطاع الشاعر أن يجذب عقول الناس، ويسيطر على أفئدتهم، من خلال التعبير استطاع الشاعر أن يرسم مشهدا مؤثرا، يتخيل القارئ وكأنما المعركة تدور رحاها أمام ناظريه.

- والموسيقى المتمثلة في بحر الطويل المعهود بصلاحيته للموضوعات الفخمة والجزلة، وقدرته على حمل المفردات والصور المكثفة، لطرح المعاني السامية، والصور البديعة.

على كل حال فإن القصيدة تحمل قيما كثيرة جدا، تحتاج إلى دراسة دقيقة ومفصلة، نعد البارئ الكريم بإجرائها في بحث آخر موسع بإذن الله.

وقد نسب أحد الباحثين للشيخ محمد الأمين قصيدة في التوسل بأسماء الله الحسنى، تتكون من واحد وخمسين بيتا، يقول في مطلعها: (١٧٨)

أيا طيب الأسماء يا من هو الله ومن لا يسمى ذلك الاسم إلا هو

إلا أن باحثا آخر نسب هذا البيت إلى أحد الشعراء الصوفية العراقيين، وقد أورد القصيدة برمتها، وقد خمسها الإمام البرزنجي: (١٧٩)

ألذ كلام المرء في طول محياه وأحسن ما يلقاه من أجر أخراه
إذا ما دعا رب السماوات مولاه أيا طيب الأسماء يا من هو الله
ومن لا يسمى ذلك الاسم إلا هو

هنيئا لذي دين قويم على الدنا ومن قام جوف الليل خوفا وما دنا
وأمسى بذكر الله لله معلنا أيا حسن الأوصاف يا حسن الثنا
ويا محسنا عم الأنام بحسناه

أيا من جنا ذنبا عظيما ومأثما وأضحى محياه الوسيم مكلثما
سل الله غفران الذنوب تكرما هو الله في الأرض هو الله في السما
هو الله ما أحلى الثناء وأشهاه

تحاقر جم الذنب بالصفح حلمه وأتقن في كنز الخفيات علمه
جليل عظيم الملك قلد جل عظمه يطيب ويحلو كلما كرر اسمه
مرارا وترتاح النفوس بذكراه

بأسمائه تجلى العيون من العمى ويروى بها القلب الصدي من الظما
وتزهو بها الشمس المنيرة في السما وتلتذ أفواه بأسماه كلما
تكرر منه الذكر تلتذ أفواه

لكن يجب الإشارة إلى أن من نسب هذه القصيدة إلى أحد الصوفيين العراقيين، لم يذكر اسم الشاعر الذي نسبت إليه، وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأنها لمحمد الأمين الكانمي.

المطلب الثالث: موسيقاه الشعرية:

صحيح أن«الوزن هو الوسيلة التي تمكّن الكلمات من أن يؤثّر بعضها في البعض الآخر على أكبر نطاق ممكن. ففي قراءة الكلام الموزون يزداد تحديد التوقيع زيادة كبرى، بحيث أنّه في بعض الحالات التي تستعمل فيها القافية أيضا يكاد يصبح التحديد كاملا. وعلاوة على ذلك فإنّ وجود فترات زمنيّة منتظمة في الوزن يمكّننا من تحديد الوقت الذي سيحدث فيه ما نتوقّع».[١٨٠] إلا أنه لا يدخل الكلام في باب الشعر، ولا يخرجه عنه، لأنه لا يعدو أن يكون قالبا مفرغا ومنسّقا تنسيقا تجريديّا صرفا.[١٨١]

ورغم ذلك فإن أهمية الموسيقى لا يمكن إغفالها، سواء أكان الشاعر يتبع العمود القديم، أم الحديث، الذي يعتمد على النسج الحر. فمن بنى على النهج الكلاسيكي يشترط عليه أن يكون معني البيت تامّا، لم يضطر الشاعر بسبب الوزن إلى نقصه أو الزيادة فيه أو قلبه. ويكون المعنى في عبارة ذات ترتيب لم يضطره الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه، أو تقديم ما يجب تأخيره وأن تكون الأسماء والأفعال تامّة، مستقيمة ما بنيت، لم يدفع الوزن إلى تغييرها بالزيادة أو النقص.[١٨٢]

- أولا: بحر الطويل: هذا البحر اتخذه محمد الأمين مقياسا لقصيدته، وهو من البحور الفخمة، هادئ، يتمشّى مع أغلب الأغراض الشعريّة. يقول فيه أحد النقّاد: «بحر الطويل بإيقاعه البطيء الهادئ نسبيّا يلائم العاطفة المعتدلة الممتزجة بقدر من التفكير والتملّي سواء كانت حزنا هادئا، لا صراخ فيه، أم كانت سرورا هادئا لا صخب فيه».[١٨٣] يمتاز بالرصانة والجلال في إيقاعه الموسيقي،[١٨٤] وهو «بحر خضمّ يستوعب ما لا يستوعبه غيره من المعاني، ويتّسع للفخر والحماسة والتشابيه والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الأخبار ووصف الأحوال ولهذا ربا في شعر المتقدّمين على ما سواه من البحور...»[١٨٥] وشاع حتّى جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم فيه.[١٨٦]

وبحر الطويل من البحور ذات التفعيلتين، ويتألّف من ثماني تفعيلات: «فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ» مكرّرة في الصدر والعجز، وهذا البحر يدخله الخزم(١٨٧) في الابتداء، فيقال له أثلم، وقبض(١٨٨)عروضه واجب ما لم يصرّع، وأضربه إمّا صحيحة أو مقبوضة أو محذوفة، وإذا استعمل الشاعر إحداهن، وجب التزامه إلى نهاية القصيدة.(١٨٩)

استخدم شاعرنا هذا البحر تاما، مستوفيا الشروط التي وردت في الفقرات الماضية، يقول:

ألا عم صباحا واحضر الذهن إنّني حريص على من يقبل القول بالفهم

فَعَوْلَنْ/مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ فَعَوْلَ/مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَيْلَنْ

فقد جاء مقبوض العروض(١٩٠) وضربه صحيح.

لكن رغم هذا التمكن في علم العروض، فلا يعفيه ذلك عن افتقار أبياته لمقومات الشعر الحقيقي. لكنه في الوقت نفسه أبان أن قصده من النظم إيصال رسالته المصحوبة بالحجج والبراهين، ومقارعة الخصم، وهذه المضامين لا تمكن الشاعر من الخيال والعاطفة، وأن الكانمي يستملي من عقله، وأن الشعر يتدفق مع خفقان القلب، وآهاته.

لكن السؤال المفترض طرحه، لماذا لجأ محمد الأمين إلى إيراد تلك الحجج شعرا، بعد استوفاها نثرا؟ الإجابة هنا بسيطة، وظاهرة لا تحتاج إلى إعمال عقل؛ لجأ إلى ذلك – كما قلنا – لتتمكن حججه وبراهينه في العقل، وليبرز لمخاطبه أنه مثلما استطاع أن يدحض حججه نثرا، يستطيع أن يفيها حقها نظما كذلك، وليريه قدرته، ومعرفته بالفنون مجتمعة، فالعملية برمتها إبراز عضلات، وليس إلا.

أما قصيدته نسيم الصبا، والتي يقول في مطلعها:

نسيم الصبا إن جئت ربعا بكوكوا وشاهدت ما في الباب من متردد

فقد جات على هذا النحو:

فَعَوْلَنْ/مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَنْ/ مَفَاعَلَنْ فَعَوْلَ/مَفَاعَيْلَنْ/ فَعَوْلَ/ مَفَاعَلَنْ

مقبوضة العروض والضرب معا.

- ثانيا بحر الرجز: قيل سمّي هكذا لأنّه «مأخوذ من الناقة الرجزاء التي ترتعش عند قيامها».[١٩١] والرجز من البحور ذوات التفعيلة الواحدة، المتكرّرة : مَسْتَفْعَلَنْ، مَسْتَفْعَلَنْ، مَسْتَفْعَلَنْ، في الصدر والعجز إن جاء تامّا، ويأتي مجزوء فيبقى على أربع تفعيلات، ومشطورا – أيضا – فيبقى على ثلاث تفعيلات ومنهوكا،[١٩٢]فيبقى على تفعيلتين، ويدخل حشوه الخبن والطي.[١٩٣]

وقد عدّه بعض النقّاد من بحور الشعر غير الجادّة، والتي تصلح «للآداب الشعبيّة، فالناس في لهوهم وعبثهم، في أسواقهم وبيعهم وشرائهم، في بعض أغانيهم وغزلهم، في دعابتهم وفكاهتهم، في القصص والحكايات، في كل ما يعرض لهم من شئون حياتهم العاديّة التي تخلّو من مواقف الجد والجلال، كانوا يعمدون على الرجز فيريّحون به عن أنفسهم».[١٩٤]وقد زعم بعضهم أنّ بحر الرجز لا يلجأ إليه الشعراء إلا نادرا، لأنّه أقدم البحور، وأسهلها، فيسمّونه «مطيّة الشعراء أو حمار الشعراء».[١٩٥] فالشعراء المجيدون يبتعدون عنه، ويرون من ينسج عليه «أحط منهم منزلة وأقلّ مكانة».[١٩٦] وربّما يرجع ذلك لكثرة دخول الزحافات والعلل على هذا البحر.

لكن هذا الزعم يرفضه أحد النقّاد ويصرّح: «بأن الرجز ليس بأسهل من غيره إلاّ في نظم المتون وأشباهها، وأمّا حين يتعلّق الأمر بأغراض الشعر الأصليّة المتفجّرة من قرارة الوجدانات، النافحة بعبق العواطف، فغيره أيسر وأطوع وأدمث، ولو رحنا نستفتي جمهرة الشعراء المطبوعين لتابعونا على ذلك وأنا يثقل عليّ النظم منه».[١٩٧]

والباحث يميل إلى هذا الرأي الأخير؛ إذ لو كان الرجز بهذه السهولة لما لجأ إليه فحول الشعراء من أمثال لبيد والشمّاخ وجرير وذو الرمّة والعجّاج وبشّار بن برد وأبو نوّاس.[١٩٨]

أما شاعرنا فقد استخدمه في نظمه للعلوم، مثله مثل غيره من العلماء، استخدمه تاما على ست تفعيلات، والتام له صورتان:

عروضتان وثلاثة أضرب:

١- العروض الأولى: صحيحة «مستفعلن»، ولها ضربان: صحيح مثلها «مستفعلن»، أو مقطوع «مفعولن» عوض عن «مُسْتَفْعِلْ».

٢- العروض الثانية: مجزوءة صحيحة «مستفعلن»، ولها ضرب مثلها:

أ- ضرب صحيح مثلها.

ب- ضربها مقطوع[١٩٩]. أو مزيل. [٢٠٠]

يقول الكانمي في حكم الإجبار على الطلاق:

من ذا يوقع الطلاق جبرا إنه زوجة دعت إليه نكرا

جاءت على الوزن التالي:

مَسْتَفْعَلَنْ، مَسْتَفْعَلَنْ، مَسْتَفْعَلْ مَسْتَفْعَلَنْ، مَسْتَفْعَلَنْ، مَسْتَفْعَلْ

فكانت عروضه مقطوعة وضربها كذلك مقطوع مثلها، ويسير على هذا المنوال حتى نهاية منظومته.

آثاره العلمية:

للكانمي منظومة من ثمانية وثلاثين بيتا سمّاها (نصيحة الحكّام)، وهي عبارة عن نظم للأحكام الفقهيّة، المتعلّقة بالأحوال الشخصيّة؛ كالزنا والسرقة والقتل ...وغيرها، وما يترتّب عليها من الأحكام الشرعيّة، يبدو أن هدفه وضع قاعدة فقهية للحكام، يعتمدون عليها في أقضيتهم بين الرعية. وقد قام المرحوم الشيخ علي أحمد طه بشرح هذا النظم سمّاه: (فتح العلاّم في شرح نصيحة الحكّام)، يقول في مقدمتها:

باسم الإله أبتدي النظاما ومنه أرجو العون والتماسا
احمد لله الشديد الحول ثم صلاته على الرسول
محمد وآله والصحب وتابعٍ من عجمٍ وعرب
وبعد : إني قاصد بنظمي نصيحة الحكام أهل الفهم
لكي تفهم على أمور قد خالفت مذاهب الجمهور
بكلام وهي خلاف العروب لدى جميع العلماء بالكتب
والله يهدي من يشاء للهدى ويمنح التوفيق على من قد سعى

ويقول في حكم الإجبار على الطلاق:

من ذا يوقع الطلاق جبرا إنه زوجة دعت إليه نكرا
من غير إضرار ولا عن عجم نفقة كسوة ومطعم
بل تدعي كراهة منها فقط في حكم ونطوعها ، وإذا غلط
إذ الطلاق بالنشوز سبب يبينه الحديث واكتساب
أو من هاهم كذا وقيل قولت إذا كان عليه زوج طلقت
فلا تجاب في رد قصدها أما الذي يكون منها وحدها
وإن أراد الزوج خلعا تفتدي أو تلزم المقام طولا لأمد
جواز خلع إن به تراضيا وإلا فيبقى النظم للإباحة
أنه يبه الرسالة الواضحة بمهرها أو أنقص أو أزيد
وجب يقول لها أن تفتدي وغيره خلاف ما به العمل

أما في حكم من ولدت لأقل من تسعة أشهر فيقول:

ومنه أيضًا قولهم من ولدا لدون تسعة كمالًا عددًا
من يوم يدل الذي به أتينا لا منتشيًا إذًا ولا ملاعنا
بطلان هذا الحكم ظاهر بلى ما بعد سنة لحوقه جلا
إلا إذا نشاه باللعان فآمر ذاك وأوضح البيان

وفي حكم من زنا بامرأة ثم تزوجها يقول:

ومن زنا ثمت بعد نكحا ... فالفسق لازم له لن يبرحا
إن زمن استبرائها العقد وقع ... لكونه الفاسد والضد جمع
لكن عليه أبدا لا تحرم ... وما سواه حلها لا يعلم
تنبهوا حكامنا وفرقوا ... ما بين ذا وذاكم لترتقوا

أما في أحكام الخطبة في العدة فيقول:

ومثل ذا تحريمهم من خطبة ... في عدة أو تحت زوج عهدت
فاعل دين أمره مستقبح ... وحكمه في بابه موضح
فيه أتت ثلاثة الأقوال ... أصحها لا يفسخن بحال
والفسخ قيل لازم قبل البناء ... وقال مطلقا وهذا وهنا

- له ثلاث رسائل نثرية يخاطب فيها زعماء عثمان بن فوديو وجماعته في دولة سكتو.

- رسالتان إلى زعماء البرنو المتناحرين فيما بينهم، يلفت انتباههم إلى الخطر الفلاتي المحدق بهم، ويدعوهم إلى العمل لإنقاذ البلاد.

وهذه النصوص أوردها الباحث هنا للاستدلال فحسب، ولكنها تكون – بإذن الله – موضوعا لدراسة قادمة.

خاتمـــــــــة

تعتبر مملكة كانم من الدول الكبيرة التي أسهمت في قيام حضـــارة إســـلامية عربية عظيمة، نشرت الإسلام، واتخذته دستورا تعمل بـــه فـــي تســـيير شـــئون مجتمعها، ومن اللغة العربية وسيلة للتخاطب، والتواصل والإبداع، ومـــن الاثنـــين اتخذت هوية تمثل كيانها، وقيما تعتز بها، بنت حياة مجتمعها علـــى حـــب العلـــم والسعي في طلبه، واهتم ملوكها بهذا الجانب، فأعطوا العلماء مكانـــة تليـــق بهـــم، رعاية خاصة تحقق لهم العيش الكريم، فازدهرت دولتهم ونمت، وأنجـــزت علمـــا وفنا، وتوسعت رقعتها حتى غطت مساحات شاسعة من إفريقيا، وضمت إليها كثيرا من الشعوب، وأدخلتها في دين الله، تواصلت مع محيطها، وجلبت العلماء والخبراء والأطباء والمهندسين، فحققت طموحات عالية، على المستوى التجاري، والصناعي، والعمراني. ومن ثم أنتجت علما وفنا غزيرا وراقيا، أكثره ضيعته العواتي، ولم يبق منه إلا النذر اليسير، احتفظت به بطون الكتابات العربية المغربية، وبعض المؤلفات المحلية، ولولاها لضاع هذا أيضا.

ومن خلال هذا القليل توصل البحث إلى الاستنتاج الآتي:

١- أن دولة كانم شاركت في إنتاج الكثير من العلم والأدب.

٢- أن دولة كانم عاش بها مجموعة كبيرة من الشعراء، وافدون ومحليون.

٣- أن الشعر الذي أنتجه الكانميون غزير، وعلى مستوى عال من الإبداع.

٤- أن جل الشعراء ماتوا، ولم يعرف عنهم ولا عن شعرهم أي أثر.

٥- أن إبراهيم الكانمي كان شاعرا فذا، لم يصل إلى مكانته أي شاعر تشادي آخر.

٦- أن إبراهيم الكانمي أتقن علوم العربية، والفقه، والسياسة، وضروب الشـــعر، حتى تفوق على أقرانه من شعراء الأندلس والمغرب.

٧- إن محمد الأمين الكانمي، شاعر، ولكن شعره لم يصل إلينا منـــه إلا قصـــيدة واحدة، وبعض المؤلفات المنظومة.

٨- إن محمد الأمين الكانمي عالم بفنون العربية، متفقه بعلوم الدين، وسياسي من الطراز الرفيع.

ومن خلال هذا البحث تظهر للباحث توصيات يرصدها في الآتي:

١. اهتمام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي التشادية، بالبحث العلمي، والتراث الأدبي.
٢. استنفار الباحثين المهتمين بالأدب التشادي، من أجل البحث عن المدفون من الأدب الكانمي، لأن ضياعه، هو ضياع لأمة بكاملها.
٣. تكثيف البحوث الجادة في مجال الأدب التشادي، والكانمي على وجه الخصوص.
٤. إجراء دراسات في النثر الفني للكاتب محمد الأمين الكانمي، لوجود رسائل معتبرة، يرد فيها على الرسائل الحربية التي تصله من حكام دولة سوكتو.
٥. تشكيل لجنة من وزارات التعليم العالي والبحث العلمي التشادية والنيجيرية، والنيجرية، ورصد ميزانية معتبرة، من أجل البحث عن التراث المشترك.

الحواشي السفلية

١ــ ينظر: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، د. فضل كلود الدكو، كلية الدعوة الإسلامية، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٣٣.

٢ــ ينظر: الأدب العربي في الأندلس، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٧٦م، ص١٦٣.

٣ــ ينظر: العرب في تشاد ودورهم في تشكيل الهوية التشادية، كبرو حسين الصليل، ط١، بيروت – لبنان، ٢٠١٩م، ص٥٣.

٤ــ ينظر: إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، محمد بن شريفة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، (د – ت)، ص٣٢.

٥ــ ينظر: صبح الأعشى في صناعة الانشا، أبو العباس أحمد بن علي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ج٥، ص٢٨ – ٢٩.

٦ــ ينظر: المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين التاريخ والأدب، د. أديبايو سراج الدين، مقال نشر على الانترنت في موقع قراءات افريقية، يوم ٢٠ فبراير ٢٠٢٢، ص٢.

٧ــ هو أحد أبرز الكاديميين والنقاد السودانيين، الذين أسهموا في التعريف بالأدب والثقافة العربية في منطقة بحيرة تشاد، تشير بعض الدراسات إلى أنه كان من أوائل من تناولوا الشعر العربي التشادي بالنقد والتحليل، وهو من عمل على إدراج مادة الأدب العربي التشادي في مؤسسات التعليم العالي التشادي. توفي في أكتوبر ٢٠٢٢م بالخرطوم.

٨ــ من أبرز الباحثين المغاربة في مجال الأدب الأندلسي، وتحقيق التراث العربي الإسلامي، ولد عام ١٩٣٠م في قرية العثامنة بإقليم الجديدة في المغرب العربي، شغل عدة مناصب أكاديمية وإدارية، وصدرت له العديد من الدراسات الأدبية والتاريخية. توفي في الرباط في ليلة الجمعة ٢٣ نوفمبر ٢٠١٨م. للمزيد: مراجعة موقع ويكيبيديا على الانترنت.

٩ــ حسن محمود حسن محمد، باحث وأكاديمي مصري، انتدب للعمل بجامعة الملك في الفترة الممتدة ما بين ٢٠٠٢ حتى ٢٠٠٦م، له إسهامات كبيرة في خدمة الشعر والتراث التشادي.

١٠ــ باحث وأكاديمي تشادي، له عدة كتابات، وشغل عدة مناصب أكاديمية، وحاليا نائب رئيس جامعة آتيا.

١١ــ هي الإمارة الإسلامية، التي أقامها الشيخ عثمان بن فوديو في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، في شمال نيجيريا، وجنوب النيجر، أسقطها الاحتلال البريطاني مع بداية القرن العشرين.

١٢ــ ينظر: مملكة كانم – برنو الإسلامية في عهد الشيخ محمد الأمين الكانمي، خديجة أباي موسى، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة السودان المفتوحة، ١٤٤٠ه / ٢٠١٨م، ص١٠.

١٣ــ ينظر: برنو في عهد الأسرة الكانمية، د. مصطفى بسيوني أبو شعيشع، دار العلوم للطباعة، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٥ه / ١٩٨٤م، ص١٣.

١٤ــ ينظر: وصول الإسلام وانتشاره في كانم – برنو بالسودان الأوسط، د. أمين الطيبي، مجلة الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابلس – ليبيا،ض ١٩٨٧م، ص١٨٤.

١٥ــ ينظر: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم – برنو، إبراهيم صالح، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص٢١٣.

١٦ــ ينظر: المرجع نفسه، ص١٠.

١٧ــ ينظر: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، ص٢٩.

١٨ــ أبرز أديب ورحالة تونسي، ويعد من أبرز الشخصيات الثقافية في القرن التاسع عشر، ولد عام ١٧٨٩م، وقيل ١٧٩٠م، بالقاهرة، نشأ بها، والتحق بالأزهر الشريف، ثم عمل بالجيش المصري واعظا بإحدى فرق المشاة، له إسهامات كبيرة في الأدب، والجغرافيا والتاريخ. وأشهر مؤلفاته تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، كتاب جغرافي، وتاريخي، واجتماعي، تناول فيه الحياة في السودان وتشاد وحوض بحيرة تشاد، ومن أبرز رحلاته؛ زار مناطق دار فور، وادي النيل، دار وداي، وكانم – برنو، بعدها عاد إلى تونس، وعاش فيها حتى توفي عام ١٨٥٢م. ينظر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، محمد بن عمر التونسي، تحقيق: د. خليل محمود عساكر، وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة، (د – ت)، ص١١ وما بعدها

١٩ – رحلة إلى وداي، ص١٠٥.

٢٠ــ ينظر: المرجع نفسه، ص٣٣.

٢١ــ ينظر: المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ. ص٢. لمزيد من المعرفة حول موضوع ضعف دولة كانم، وأسباب تفككها، ينظر: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، ص٢٩. ص٢٨٥ وما بعدها.

٢٢ــ ينظر: المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ.

٢٣ــ ينظر: صحراء العرب الكبرى، الدكتور محمد سعيد القشاط، مؤسسة ذي قار، ط٢، ١٩٩٩م، ص٢٥٧ – ٢٥٨.

٢٤ــ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن بيك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٦، ص١٠٩. ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨، ج٤، ص٣٨٠.وتحفة القادم، ابن الأنبار، تح: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م، ص١٥٧. ومن أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، دكتور محمد بن شريفة، معهد الدراسات الإفريقية، المغرب، الرباط، ١٩٩٩م ص١٧ .

٢٥ــ ينظر: أبو إسحاق إبراهيم الكانمي، نشر على موقع ويكيبيديا بالانترنت ar.m.wikipedia.org

٢٦ــ ينظر: تحفة القادم، ص١٥٧.

٢٧ــ ينظر: من أعلام التواصل بين المغرب والسودان، ص٤٩.

٢٨ــ ينظر: تاريخ الشعر التشادي، د. حسن محمود، دار طيبة للطباعة، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م، ص٥٢.

٢٩ــ ينظر: تحفة القادم، ص١٥٧.

٣٠ــ أبو إسحاق إبراهيم الكانمي، نشر على موقع ويكيبيديا بالانترنت ar.m.wikipedia.org مرجع سابق.

٣١ــ ينظر: تحفة القادم، ص١٥٧.

٣٢ – رواه الترمذي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، كتاب الآداب، باب حفظ اللسان والغيبة والشتم، دار الفكر، ١٤٢٢ه / ٢٠٠٢م، ص٤٨٤٧.

٣٣ – المرجع نفسه، ص ٣٨٠.

٣٤ــ ينظر: الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي ١٢٣٠–١٤٣٠م، أحمد الشكري، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٩م، ص١٧.

٣٥ــ ينظر: الشعر العربي في تشاد، محمد المصطفى أحمد البرعي، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدعوة الإسلاميةــ طرابلس – ليبيا، ٢٠٠٦م، ص٩٥.

٣٦ – إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص٤٦.

٣٧ــ ينظر: المرجع نفسه، ص٣١. واللغة العربية في تشاد لغة إبداع، د. عبدالله حمدنا الله، أعمال ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، التي انعقدت في أنجمينا، في الفترة ما بين ٢١ – ٢٥ يناير ٢٠٠١م، ص١٨٠. والشعر العربي في تشاد، ص١١١.

٣٨ ــ ينظر: اللغة العربية في تشاد لغة إبداع، د. عبدالله حمدنا الله، مجلة دراسات افريقية، الخرطوم – السودان، العدد ٢٥، ٢٠٠١م، ص١٤٧.

٣٩ ــ ينظر: أولية الشعر التشادي، د. عبدالله حمدنا الله، ص٥٦.

٤٠ – الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، مصطفى محمد فوزي، الزهور، دكرنس، دقهلية – مصر،٢٠٠٢ – ٢٠٠٣م، ص(ز).

٤١ ــ ينظر: الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي ١٢٣٠– ١٤٣٠م، ص٢٢٣، وص٢٢٢.

٤٢ ــ ينظر: إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص ٢٠

٤٣ ــ ينظر: الإسلام والمجتمع السوداني، إمبراطورية مالي ١٢٣٠– ١٤٣٠م، ص٢١٧.

٤٤ ــ ينظر: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، ص٢٨٥.

٤٥ ــ ينظر: المرجع نفسه، ص٢٩١.

٤٦ ــ ينظر: تراث أبناء الكانمبو Publication de culture kanembo ، مقال من صفحة واحدة، نشره على الفيس بوك.

٤٧ – ذكر ذلك ممن كتبوا عنه سابقا، لكن الباحث لم يعثر له إلا على مقطوعات شعرية.

٤٨ – ينظر: حركة المد الإسلامي في إفريقية، عبدالفتاح غنيمي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م، ص٧٣. وأثر الاستعمار الفرنسي في الصراع الثقافي في تشاد، د. إبراهيم برمة أحمد، دار مصورات، الخرطوم – السودان، ط١، ٢٠١٩م، ص١٣٨.

٤٩ــ ينظر: تحفة القادم، ص١٥٨.

٥٠ــ ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صار، بيروت – لبنان، (د – ت)، ج٤، ص٤٣٢.

٥١ــ ينظر: إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص ٢٠

٥٢ــ التشاديون واللغة العربية، أ. ربيع محمد الحاج، المجلس الدولي للغة العربيــة، منشــور علــى الانترنت في موقع صحيفة اللغة العربية صاحبة الجلالة arabiclaneic.org الاثنين ٢٥ محرم ١٤٤٧ه/ ٢١ يوليو ٢٠٢٥م.

٥٣ –ينظر: إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص ٢٤.

٥٤ــ ينظر: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أبو عبدالله محمد الطنجي ابن بطوطة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٢٠٩.

٥٥ – إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص٣٤.

٥٦ – الآية ١٣٢ من سورة طه.

٥٧ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تح: عبد الرحمن بــن معــلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هــ/٢٠٠٠م، ص٣٢١.

٥٨ – المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، في شرح ألفية ابن مالك، تح: د. محمد إبراهيم البنا، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م، ج٩، ص٣٤٩.

٥٩ – رواه الترمذي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القــاري، كتــاب الآداب، باب حفظ اللسان والغيبة والشتم، دار الفكر، ١٤٢٢ه / ٢٠٠٢م، ص٤٨٤٧.

٦٠ – إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص٣٤.

٦١– هو: علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، أبو الفــتح. شــاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته. وكان من كتّاب الدولة السامانية فــي خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولــة (الســلطان محمــود بــن سبكتكين) ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريباً في بلدة (أورزجند) ببخارى. له (ديــوان شعر – ط) صغير، فيه بعض شعره. وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدوّن.

٦٢ – الوافي بالوفيات، ط٢، ج٦، ص ١٧٠.

٦٣ – تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط، د. رجب محمود بخيت، مكتبة جزيــرة الــورد، مكتبــة الإيمان، المنصورة – مصر، ط١، ١٤٣٠ه/ ٢٠٠٩م، ص٣٠٧.

٦٤ – ينظر: موسوعة المبدعون، الحكمة في الشعر العربي، سرج الدين محمد، دار الراتب الجامعــة، بيروت – لبنان، (د – ت)، ص.

٦٥ – ديوان البحتري، دراسة وتحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط٣، ٢٠١٦م، ص٢٠٦.

٦٦ – الآية ١٨، سورة آل عمران.

٦٧ – من الآية ٧٨، سورة النساء.

٦٨ – الآية ٢٦، سورة الرحمن.

٦٩ – الآية ١٠٢، سورة آل عمران.

٧٠ – الآية ٨، سورة الحشر..

٧١ – سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، دار الهدى المحمدي، دار الكتب المصرية، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٢٢م، (٤٢٥٩)، ص٤٨٣.
٧٢ – من الآية ٢٧، سورة فاطر.
٧٣ – الآية ٨، سورة الجمعة.
٧٤ – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣م، ج١٥، ص٣٢١.
٧٥ – ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م، ص٢٦٨.
٧٦ – الآية ٥١، ٥٢ من سورة مريم.
٧٧ – إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص٢٥ .
٧٨ – كتاب الوافي بالوفيات،ج٦، ص١٧٠.
٧٩ – قلائد الجمان ج١، ص٣٨،٣٩. نقلاً عن: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، ص٣٦ .
٨٠ – إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص ٤٢ .
٨١ – تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي، دار الثقافة، دار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م، ص٥.
٨٢ – النقد الأدبي الحديث، أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر، ط٣، ١٩٦٣م، ص٤٣٥.
٨٣ – في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة – مصر، (د – ت)، ص٩٩.
٨٤ – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الحسن ابن رشيق القيرواني، قدم له وشرحه وفهرسه: د. صلاح الدين الهواريظن أ. هدى عودة، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٣٧.
٨٥ – المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٤.
٨٦ – منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدر العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م، ص٢٤١. بتصرف.
٨٧ – ينظر: التسهيل في علمي الخليل، د/ أحمد سليمان يعقوب، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م، ص٤٢. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٢٤١.
٨٨ – النقد الأدبي الحديث، ص٤٤١ – ٤٤٢، وص٢٤١.
٨٩ – الجزء هو: ذهاب تفعيلتين من البيت إحداهما في آخر العروض، وثانيتهما في آخر الضرب.
٩٠ – الطي هو: حذف الرابع الساكن.
٩١ – القطع هو: حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله.
٩٢ – ينظر: موسيقى الشعر العربي نغم وإيقاع، د/ مصطفى السيوفي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠١٠ – ٢٠١١م، ص٨٨. والتذييل هو: زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع.
٩٣ – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٩٤ – الطي: حذف الرابع الساكن. والخبن: حذف الثاني الساكن، والخبل: اجتماع الخبن مع الطي في تفعيلة واحدة، وهو حذف الثاني الساكن والرابع الساكن.

٩٥ – ينظر: المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر، عدنان حقي، دار الرشيد، ومؤسّسة الإيمان، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٤٠.

٩٦ – موسقى الشعر بين الثبات والتطور، د/ صابر عبدالمنعم، دار الأرقم بالزقازيق، ١٩٩١م، ص١٥.

٩٧ – إبراهيم الكانمي أنموذج مبكر للتواصل الثقافي بين المغرب وبلاد السودان، ص ٢٤.

٩٨ – الشعر الجاهلي – منهج في دراسته وتطبيقه –، محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د – ت)، ص٥٣٩.

٩٩ – ينظر: المعجم المفصل في علم العروض والقافية، د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١ه/١٩٩١م، ص١٠٣.

١٠٠ – الإلياذة والشعر العربي، سليمان البستاني، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس، ١٩٩٨، ص٢١.

١٠١ – ينظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ط٥، (د – ت)، ص٥٩.

١٠٢ – الخزم هو: إسقاط أوّل الوتد المجموع.

١٠٣ – القبض هو: حذف الخامس الساكن.

١٠٤ – ينظر: اللباب في العروض والقافية، ص٦. والمفصّل في العوض والقافية، ص٢٥ – ٢٦.

١٠٥ – ينظر: أولية الشعر التشادي، مرجع سابق، ص٦٢. والمايات: جمع، مفردها ماي، وهو يطلق على سلطان كانم.

١٠٦ – ينظر: المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ، مرجع سابق.

١٠٧ ــ ليس معنى ذلك عدم وجود شاعر البتّة، بل كانوا موجودين، ولكن أدبهم لم يصل إلينا، لما عرف في الصفحات السابقة من ضعف الرواية، وعدم الاعتناء، وغلبة الأميّة، التي نتج عنها كثرة الشعراء الشعبيين، وقلّة شعراء الفصحى. كذلك عدم تشجيع المجتمع لقول الشعر، حيث يرى أنّ قرض الشعر عيب، خصوصا الغزل. وقد كان المجتمع ينظر إلى العلماء نظرة تقديس واحترام، فلا يتقبل أن يكون العالم شاعرا، ولذلك كثر المديح، لأنّه من الإيمان، وقلّ غيره من الأغراض، لأنّه يخدش الحياء والاحترام، وهو سبب تأخّر الفن عموما في تشاد، للنظرة الدونية التي يعلّقها الإنسان التشادي على الفن وأهله. فالعالم لو قرض قصيدة ربّما حجبها، فكانت نسيا منسيا. أيضا هناك عامل آخر، وهو نهب التراث التشادي من قبل الفرنسيّين، ربّما كان ضمن العوامل التي أذهبت عنّا الكثير من الشعر.

١٠٨ – ينظر: المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ.

١٠٩ – ينظر: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، ص ٣٠٤.

١١٠ – ينظر: برنو في عهد الكانمي، ص٣١.

١١١ – ينظر: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، ص ٣٠٤.

١١٢ – معجم سكان ليبيا، بواسطة: الشيخ محمد بن محمد الأمين الكانمي، محمود البرناوي، مقال نشر على الانترنت في موقع (وثائق ليبية)، في ٢ فبراير ٢٠٢٠م.

١١٣ – ينظر: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم – برنو، ص١٣٣.

١١٤ – ينظر: الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقيا والدعوة الإسلامية الطرح الجديد، الشيخ إبراهيم صالح الحسيني، بحث مكتوب بالآلة الكاتبة، غير منشور، ص٣٧.

١١٥ – ينظر: العلم والعلماء في شاد، ص١٠٣.

١١٦ – ينظر: المرجع نفسه، ص١٠٣.

١١٧ – ينظر: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم– برنو، ص١٣٧.

١١٨ – ينظر: المرجع نفسه، ص١٣٧. وبرنو في عهد الأسرة الكانمية، ص٣٠.

١١٩ – ينظر: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم– برنو، ص١٤٨.

١٢٠ – ينظر: مخطوط، رسالة من الشيخ عثمان بن فوديو، إلى الشيخ محمد الأمين الكانمي، مكتبة الباحث.

١٢١ – ينظر: برنو في عهد الأسرة الكانمية، ص٤٠.

١٢٢ – ينظر: المرجع نفسه، ص١٣٣، و١٣٦، و١٣٧.

١٢٣ – ينظر: المرجع نفسه، ص١٤٧ – ١٤٨.

١٢٤ – ينظر: المرجع نفسه، ص٣٩.

١٢٥ – ينظر: المرجع نفسه، ص٣٩.

١٢٦ – ينظر: المرجع نفسه، ص٤١.

١٢٧ – ينظر: المرجع نفسه، ص٣٧.

١٢٨ – استعراض القيم العلمية والاجتماعية في رسائل الكانمي من خلال مخطوط، مركز البحوث عبر الصحراء، جامعة ميدقري، نيجيرا، ص٥. بواسطة: مملكة كانم – برنو الإسلامية في عهد الشيخ محمد الأمين الكانمي، ص٩٩ – ١٠٠.

١٢٩ – ينظر: الشيخ محمد بن محمد الأمين الكانمي، مرجع سابق.

١٣٠ – ينظر: العلم والعلماء في شاد، ص١٠٤.

١٣١ – ينظر: برنو في عهد الإدارة الكانمية، ص٣١. ومملكة كانم برنو في السودان الأوسط، محاضرة ألقيت في جامعة محمد لمين دباغين اسطيف، لم يورد اسم المحاضر، أو صاحب المقال.

١٣٢ – ينظر: برنو في عهد الأسرة الكانمية، ص٣٩.

١٣٣ – ينظر: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، ص ٣٠٤. وتاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم– برنو، ص١٣٣.

١٣٤ – ينظر: العلم والعلماء في شاد، ص١٠٣.

١٣٥ – ينظر: المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ، مرجع سابق.

١٣٦ – نشرت صورة الختم على الانترنيت في موقع ويكيبيديا.

١٣٧ – ينظر: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم– برنو، ص١٥٠.

١٣٨ــ الفلاتة أو الفلان: إحدى القبائل الرعوية المنتشرة على امتداد القارة الإفريقية من شرقها إلى غربها. قيل إنهم ينتسبون إلى عقبة بن نافع، وقيل إنهم جزء من قبائل البربر، الذين خرجوا من الشام، أو هم من أقباط مصر، يسمون بالفلاح، أهل ماشية، قد كانوا أهل بادية في مصر، ثم دخلوا في التمدن لاحقا. ينظر: زهور البساتين في تاريخ السوادين، الحاج موسى كمر، مخطوط، خزانة الباحث، ص٦٢.

١٣٩ – ينظر: المرجع نفسه، ص١٣٢.

١٤٠ – ينظر: رحلة إلى وداي، ص١٠٦.

١٤١ – ينظر: المصدر نفسه، ص١٠٦، والشيخ محمد بن محمد الأمين الكانمي، مرجع سابق.

١٤٢ ــ ينظر: رحلة إلى وداي، ص١٠٥ – ١٠٦، وص١٢٤ – ١٢٥.

١٤٣ – ينظر: تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم- برنو، ص١٣٤ – ١٣٥.

١٤٤ – ينظر: المرجع نفسه، ص ١٣٥.

١٤٥ – ينظر: الشيخ محمد بن محمد الأمين الكانمي، مرجع سابق.

١٤٦ – ينظر: برنو في عهد الأسرة الكانمية، ص٣٧ – ٣٩.

١٤٧ – ينظر: المرجع نفسه، ص٣٣.

١٤٨ – ينظر: المرجع نفسه، ص٣٣.

١٤٩ – ينظر: الشيخ محمد بن محمد الأمين الكانمي، مرجع سابق.

١٥٠ – ينظر: الحضارة الإسلامية في مملكة باقرمي، د. محمد أمين أبه الأبقاري، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠١٢م، ص١١٤.

١٥١ – ينظر: المرجع نفسه، ص ١١٧ – ١١٨.

١٥٢ – ينظر: برنو في عهد الأسرة الكانمية، ص٣٧.

١٥٣ – ينظر: المرجع نفسه، ص ١٣٥.

١٥٤ – رسالة الشيخ محمد الأمين الكانمي إلى أخته رقية، مخطوط، خزانة الباحث.

١٥٥ – ينظر: برنو في عهد الأسرة الكانمية، ص٤٠.

١٥٦ – مخطوط، رسالة من الشيخ محمد الأمين الكانمي، إلى الشيخ عثمان بن فوديو، مكتبة الباحث. وإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الإمام محمد بلو بن عثمان بن فودي، دار الشعب، طبع على نفقة رئيس وزراء نيجيريا وحفيد المؤلف، ١٩٦٤م، ص١٩١- ١٩٢.

١٥٧ – ينظر: مخطوط رسالة محمد الأمين الكانمي السابق، وإنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص١٩٢.

١٥٨ – التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث، د/ صابر عبدالدائم، مطبعة الخانجي، مصر، ط١، ١٩٩٠م، ص١٤. بتصرف.

١٥٩ – تاريخ الشعر التشادي، ص٧٥.

١٦٠ – سورة سبأ، من الآية ٢٤.

١٦١ – سورة النساء، من الآية ١٢٨.

١٦٢ – سورة الحجرات، الآية ٩.
١٦٣ – سورة الحجرات، الآية ١٠.
١٦٤ – سورة الحجرات، من الآية ١٠.
١٦٥ – مسند الإمام أحمد – رقم الحديث أو الصفحة: ١٥٣٧ – أخرجه النسائي (٤١٠٤)، وأحمد (١٥٣٧) واللفظ له.
١٦٦ – صحيح مسلم – رقم الحديث أو الصفحة: ٢٥٨٥ – أخرجه البخاري (٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥).
١٦٧ – أخرجه مسلم (٢٥٨٦)، والبيهقي في ((الأربعون الصغرى)) (٩١)، وابن مسنده في ((الإيمان)) (٣٢٢)، والبغوي في ((شرح السنة)) (٣٤٥٩) جميعا بلفظه.
١٦٨ – رسالة محمد بلو إلى الشيخ محمد الأمين الكانمي، مخطوط، مكتبة الباحث. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص٢٧٤ – ٢٧٥.
١٦٩ – من الآية ١١٣، سورة هود.
١٧٠ – من الآية ١، سورة الممتحنة.
١٧١ – الآية ٩، سورة الممتحنة.
١٧٢ – قصيدة نسيم الصبا، الشيخ محمد الأمين الكانمي، مخطوط، خزانة الباحث.
١٧٣ – سورة محمد، الآية ٧.
١٧٤ – سورة الصف، الآية ١٣.
١٧٥ – سورة الأنفال، الآية ١٠.
١٧٦ – سورة التوبة، الآية ٢٥.
١٧٧ – سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
١٧٨ – برنو في عهد الأسرة الكانمية، ص٤٠
١٧٩ – تخميس منظومة أسماء الله الحسنى، للإمام البرزنجي، نشرت على الانترنت بموقع المنتدى،manazil.yoo7.com، يوم ٢٠١٢/٥/٢٥م.
١٨٠ – مبادئ النقد الأدبي، أ.أ. ريتشاردز، ترجمة: مصطفى بدوي، القاهرة – مصر، (د – ت)، صـ١٩٤.
١٨١ – الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية، د/ عزالدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٧٨م، ص٥٣.
١٨٢ – ينظر: نقد الشعر، قدامة ابن جعفر، تحقيق : د/ محمد عبدالمنعم خفاجى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د – ت)، ص١٦٥.
١٨٣ – الشعر الجاهلي – منهج في دراسته وتطبيقه –، محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د – ت)، ص٥٣٩.
١٨٤ – ينظر: المعجم المفصل في علم العروض والقافية، د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١١ه/١٩٩١م، ص١٠٣.

١٨٥ – الإلياذة والشعر العربي، سليمان البستاني، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة – تونس، ١٩٩٨، ص٢١.

١٨٦ – ينظر: موسيقى الشعر، ص٥٩.

١٨٧ – الخزم هو: إسقاط أوّل الوتد المجموع.

١٨٨ – القبض هو: حذف الخامس الساكن.

١٨٩ – ينظر: اللباب في العروض والقوافي، كامل السيد شاهين، الهيئة العامة للشئون المطابع الأميرية، القاهرة – مصر، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م، ص٦، وص٢٥ – ٢٦.

١٩٠ – القبض هو: حذف الخامس الساكن.

١٩١ – التسهيل في علمي الخليل، ص٦٧.

١٩٢ – النهك هو: ذهاب ثلثي البيت.

١٩٣ – ينظر: المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر، ص٧١. واللباب في العروض والقافية، ص٣٥.

١٩٤ – موسيقى الشعر، ص١٢٩.

١٩٥ – المرجع نفسه، ص١٢٨.

١٩٦ – ينظر: التسهيل في علمي الخليل، ص٦٧.

١٩٧ – الشعراء وإنشاد الشعر، ص١٠٧.

١٩٨ – لتذييل: زيادة حرف واحد على ما آخره وتد مجموع.

١٩٩ – القطع: حذف ساكن الوتد المجموع وإسكان ما قبله.

٢٠٠ – ينظر: الشعراء وإنشاد الشعر، ص١٠٧.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	المُلخص .	١٩١٧
٢-	Abstract	١٩١٨
٣-	المُقَدِّمَةُ	١٩١٩
٤-	المبحث الأول: حالة الشعر في كانم في زمن الشاعر إبراهيم الكانمي	١٩٢٣
٥-	المبحث الثاني: حالة الشعر في دولة كانم في زمن الشاعر محمد الأمين الكانمي	١٩٤٦
٦-	خاتمـــــــة	١٩٧١
٧-	الحواشي السفلية	١٩٧٣
٨-	فهرس الموضوعات	١٩٨٣